وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف ميلة

معهد الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

المرجع:.....

محاضرات في مقياس الأدب الجزائري القديم

مطبوعة مقدمة لطلبة السنة الثانية ماستر، تخصص الأدب العربي القديم.

إعداد: الدكتورعلاوة كوسة

الموسم الجامعي:2019-2020م

مقدمـــة:

أنجزت هذا العملَ المتمثلَ في أربع عشرة محاضرة في مقياس الأدب الجزائري القديم،والموجهة إلى طلبة السنة الثانية ماستر، تخصص الأدب العربي القديم،وقد راعيت في هذه المحاضرات البرنامجَ المقرر في عرض التكوين وهو:(1-إشكاليات الهوية في الأدب الجزائري القديم،2-الأدب الجزائري القديم في عهد الدولة الرستمية،3-الأدب الجزائري القديم في عهد الدولة الأغلبية،4-الأدب الجزائري القديم في عهد الدولة الإدريسية،5-الأدب الجزائري القديم في عهد الدولة الفاطمية،6-الأدب الجزائري القديم في عهد الدولة الصنهاجية،7-الأدب الجزائري القديم في عهد الدولة الحمادية،8-الأدب الجزائري القديم في عهد الدولة المرابطية،9-الأدب الجزائري القديم في عهد الدولة الموحدية،-11-10الأدب الجزائري القديم في عهد الدولة الزيانية(1.2)،12-13الأدب الجزائري القديم في عهد الدولة العثمانية(1.2)،14 الأدب الجزائري القديم في بلاد المشرق والأندلس).

سلكت في إنجاز هذه المحاضرات منهجا يكاد يكون موحدا، حيث أتعرض للفضاء التاريخي والجغرافي للدولة،معرجا على جوانب من الحياة الاجتماعية فالثقافية والأدبية ،قبل التمثيل بنماذج أدبية بارزة لأعلام الأدب الجزائري في كل فترة، مع الشرح والتحليل،ذاكرا مميزات وخصائص هذا الأدب.

كما وضعت في الحسبان-وأنا اعد هذه السلسلة من المحاضرات- الحجمَ الساعي للحصة، معتمدا على اللغة السهلة الواضحة التي تكون أيسرَ على الطلاب،وأقرب إلى الفهم ،وبأسلوب علمي سليم ،دقيق وهادف.

المحاضرة الأولى:

هوية الأدب الجزائري القديم.

مفاهيم،وإشكاليات.

أولا:بيئة الأدب الجزائري القديم:

يجدر بنا في البدابة أن نقترب ن بيئة الأدب الجزائري القديم، لنتعرف على بعض العوامل المحيطة به ولتي كان لها –دون شك– الأثر في نشأته وتحولاته .

أصل السكان:

إذا كان معظم المؤرخين وكثير من العلماء النسابة قد اتفقوا على إن السكان الأصليين لبلاد المغرب هم أمازيغ، فإن الاختلافات الحاصلة بينهم كانت فقط،من أين جاء هؤلاء الأمازيغ ليسكنوا هذه البلاد منذ آلاف السنين،" ورد في إفريقية الشمالية جماعات وقبائل بشرية مختلفة منذ عهد سحيق،وطاب لها المقام بها لاعتدال مناخها وخصب أراضيها، فكانت منها الأمة الأولى لهذا الوطن،وفي القرن الثلاثين قبل الميلاد اكتسحه عن طريق مصر قبائل كثيرة موطنها الأصلي جزيرة العرب ما بين الخليج والبحر الأحمر ويرى المؤرخون إن هذه القبائل من أبناء ' مازيغ'بن كنعان بن حام بن نوح وينقسمون إلى فرعين: البرانس وهم أبناء برنس بن بربن مازيغ،والبتر وهم أبناء مادغيس الأبتر بن بربن مازيغ"[1]

القبائل المهاجرة إلى شمال إفريقيا:

[1]–محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعيّة، 2006، الجزائر، ص53.

يرى محمد الطمار في حديثه عن هجرة السكان الأصليين إلى إفريقية بأنه "هاجر بعد ذلك أقوام متعددة في أوقات مختلفة منها قبائل فلسطينية(...)ومنها عرب يمنيون جاءوامع' أفريقش' أحد ملوك اليمن(..) وأعجبتهم البلاد فاستوطنوها فكان منها قبيلتان: كتامة وصنهاجة "[1]

امتزج هؤلاء الوافدون مع السكان الأصليين فكونوا المجتمع البربري الكبير،"وهذه العناصر كلها امتزجت بالسكان الأقدمين وتكون من هذا الخليط عبر القرون عنصر ممتاز عرف باسم البربر وهذا الاسم أطلقه عليهم اليونان ثم الرومان وذلك لأنهم أجانب عنهم لا يتكلمون بلغتهم ولا يخضعون لسلطانهم والغالب من القبائل البربرية التي عمرت بالجزائر هو متفرع عن ثلاثة شعوب عظيمة:صنهاجة وكتامة وزناته"[2].

الحياة الاجتماعية:

أما في الحياة الاجتماعية السائدة بين السكان الأصليين فقك كانت حياة طبيعية يحكمها نظام القبيلة.و" إن نظام القبيلة كان ديمقراطيا، يرأسها'أقليدها' وهو رجل يقلده الحكم أفرادها الذين يشترطون فيه الشجاعة والكرم والرأي السديد، وكانت المرأة محترمة مسموعة الكلمة ولا نشتم من البربر رائحة الصغار و الإهانة للمرأة،أما معاملتهم لأولادهم فكانت معاملة من يربي الولد ليكون له درعا حصينة يتقي بها شر العدو"[3].

ولم تتغير الحياة البربرية كثيرا بعد مجيء الإسلام،حيث"أقبل البربر على الإسلام يعتنقونه وكانوا قد ذاقوا مرارة ظلم الفاتحين للبلاد قبل الإسلام فالإسلام كان لهم فرصة للخلاص من الإهانة والاستعباد والإسلام يدعوإلى المساواة والإخاء بين المسلمين وإلى الحرية والشرف

---

[1]– محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، ص 53.

[2]–م ن ، ص ن.

[3]– م ن، ص 54.

وإسلام الجزائريين كان له أثر عظيم في المجتمع من حيث الدين من جهة و من حيث اللغة من جهة أخرى"[1].

الحياة الثقافية:

شهدت الجزائر خلال تلك العصور نشاطات علمية ثقافية متنوعة تعكس ثقافة ووعي البربر وحسهم الوجودي تجاه الثقافة والجمال والفنون،و"قامت حركات علمية في بلادنا كان لها مراكز يأوي إليها الطلاب لكسب الشعر والأدب والفن والفقه والحديث والفلسفة ونبغ في هذه الفنون علماء كبار واهم هذه المراكز المسجد وقد أسست مساجد في المغرب العربي منها مسجد القيروان ومسجد الزيتونة ومسجد تلمسان ومسجد القرويين وكانت كلها بالعلماء، حافلة بالدروس المختلفة،والكتّاب أسبق أنواع المعاهد العلمية وجودا في العالم الإسلامي، يتعلم فيه الصبيان القرآن الكريم ومبادئ القراءة والكتابة"[2].

اللغة:

تعد اللغة أداة التواصل الرئيسة وإحدى أهم مقومات المجتمعات عموما،ورابطا بين الشعوب، وقد" كانت لغة قدماء المغرب بسيطة ثم تطورت مع الأيام وتأثرت بلغات الأمم التي جاورت البربر واستوطنت بلادهم.وهي ذات لهجات كما يشاهد بين سكان القطر الجزائري،فهناك لهجة خاصة بزواوة تختلف في بعض مظاهرها عن لغة الشاوية وبني مزاب والتوارق، ويطلق على هذه اللغة اسم' تمازيغت' وكان لها كتابة(...)وكانت حروف اللغة البربرية تمثل رسوما وكان الخط البربري يتكون من عشرة حروف يسمونها ' تيفناغ' أي الحروف المنزلة من عند الله وأماالأشكال فهي خمسة ويسمونها 'تيسد باكير'"[3].

---

[1]– محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، ص60.

[2]– م ن، ص63.

[3]– م ن، ص54.

الفن:

اهتم السكان الأصليون بالفنون، " وكان للبربر إلمام بالفن وإن الأواني والآلات المختلفة التي نشاهدها في المتاحف عندنا تدل على ذوق فني لابأس به، وتلك الزخارف المرسومة في المنسوجات البربرية وذلك الوشم على ظاهر اليد وفي الوجه والساق، ماهي إلا آثارات من الفن البربري القديم الذي يجانس في أشكاله الفن الإيجي واليوناني والمصري"[1].

ثانيا: هوية الأدب الجزائري القديم:

-إهمال الأدب الجزائري القديم:

قبل الحديث عن هوية الأدب الجزائري، فأننا ننبه إلى قلة الكتب بل ندرة الكتب والمصادر التي تبحث في الأدب الجزائري القديم، خاصة في وقتنا الحالي، عدا بعض الجهود الفردية ككتاب 'تاريخ الأدب الجزائري ' لمحمد الطمار،"وعلى كثرة ما ينهل الناهلون من هذا الكتاب الذي يعد أول باكورة ناضجة مختصة تؤرخ لهذا الأدب الذي ظل مهملا ومسكوتا عنه طوال عهود غابرة من القرون".[2]

ومعظم الكتب التي تناولت تاريخ الأدب الجزائري، انطلقت في التأريخ له بداية من العصر الحديث،قاطعة بذلك جذوره الأولى الممتدة عبر مايفوق العشرة قرون من الزمن والإبداع والكتابة،"ولقد طرق سمعنا قول بعضهم عن الجزائر لم يكن لها ثقافة،فلعمري إنه لمن السخافة بمكان ان يجول بخلدهم هذا،والكل يعلم أن الجزائر كانت آهلة منذ عهد سحيق، وان أهلها قد كان لهم اتصال دائم بغيرهم في الشرق،والغرب،ولا نتصور شعبا من الشعوب يبقى

---

[1]- محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، ص55.

[2]-م ن ، ص04 (ضمن التقديم).

ذمنكمشا في معزل عن الأحداث التاريخية والتيارات الحضاريةالتي تلم بغيره،ولاسيما بجيرانه، ويخبرنا التاريخ بأن الجزائري مجبول على حبّ العلم،فقد قام بالرحلا ت في سبيل اقتنائه"[1].

ومن العجب أيضا أن الدراسات المهتمة بالأدب الجزائري أهملت الكثير وتنطلق من القرن 8 للهجري،"وإذا أردنا أن نتجاوز على آراء سخيفة ظاهرها جهل بالتراث الأدبي الجزائري الأصيل،وباطنها لا يخلو من ' حاجة في نفس يعقوب' وتصفحنا عرضا لا قصدا بعض المؤلفات لوجدناها تحمل عناوين 'جامعة مانعة' ربما خدعت غير واحد من المقبلين على اقتنائها،وتكون الحسرة اشد حين تجد صاحبها ينطلق في دراسته المسماة" أدبا جزائريا–أو حتى مغاربيا–قديما" من القرن الثامن الهجري(نهاية القرن الرابع عشر الميلادي)ضاربا صفحاعرض الحائط فترات سابقة مزدهرة مثل الفترة الرستمية والفترة الصنهاجية والفترة المرابطية والموحدية،إلى ان تجيء الفترة الحفصية لتعقبها الفترة العثمانية"[2].

يعد رأي عبد العزيز في الأدب الجزائري شاذا وظالما،حيث كان لنشر مقالته"الأدب الجزائري" في هذه الموسوعة مغزى كبير بالنسبة لأدب فتي كالأدب الجزائري الذي كان يخطو خطواته الأول ببعد نيل الإستقلال الوطني"[3].

وهذا ما تحدث عنه بل رد عليه عبد الجليل مرتاض في تقديمه لكتاب تاريخ الأدب الجزائري للطمار بقوله: "الدارسون المعاصرون يؤرخون للأدب الجزائري بعد الاستقلال فقط،وربما حلا لبعض الدارسين المعاصرين أن يتصور الخطوات الأوللأدب الجزائري ببزوغ فجر الاستقلالالوطني،ومن ذلك ماصرح به الاستاذ عبد العزيز بوباكير،وهو يشيد بالإستاذ الروسي فكتور بالاشوف الذي يعدأول من التفت في روسيا إلى الأدب الجزائري بقوله'وكان لنشر مقالته"الأدب الجزائري" في هذه الموسوعة مغزى كبير بالنسبة لأدب فتي كالأدب

---

[1]– محمد الطمار، الروابط الثقافيّة بين الجزائر والخارج، الشركة الوطنيّة للنشر والتوزيع، ط، 1983، ص05.

[2]– محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، ص06. (ضمن التقديم)

[3]–عبد العزيز بوباكير، الأدب الجزائري في مرآة استشراقيّة، دار القصبة، ط3، الجزائر، 2003، ص03.

الجزائري الذي كان يخطو خطواته الأول بعد نيل الاستقلال الوطني" كلام مثل هذا غير مستحب من دارسوناقد ضليع مثل الأستاذ عبد العزيز بوباكير،إلا إذا قصد ب"فتوة" الأدب الجزائري البداية الفنية لتشكّل الأدب الجزائري المنتج باللغة العربية،وحتى هذا النمط عرف نشوءا قديما"[1].

بين الأدب المشرقي والمغربي:

حين نتحدث عن الأدب المغربي عموما وعن الأدب الجزائري القديم بوصفها جزءا منه، فإنه لا مناص لنا من التطرق إلى قضية الحوار بين الأدبين المغربي والمشرقي، وكيف تأثرا ببعضهما وتداخلا، وبلغت عقدت المشرقية عتيا لدى بعض الباحثين الذين ظلوا يربطون ادبنا الجزائري بالمشرقي،رغم ماحصل من بعثات علمية جزائرية إلى بلاد المشرق،ونطرح هنا رأي عبد الملك مرتاض في نشأة الأدب الجزائري: وعلاقته بالأدب المشرقيفيقول:"إن الأدب العربي خارج منبته الأصلي في شبه الجزيرة العربية حين امتد امتداده وطالت رجلاه مع الفتوح الإسلامية بلاد المغرب، لم يكن ينبغي له أن يشد عن صنوه أصلا،ولما كان الأصل قائما على جنس الشعر أساسا فقد قام ما امتد منه في كل الاتجاهات والأبعاد والآفاق على هذا الشعر نفسه أيضا أساسا"[2].

إن للتبعية الثقافية والأدبية المغربية إلى الثقافة المشرقي مايبرها أيضا"أما عندنا في سماء شمال إفريقية وخاصة في بلاد الغرب الإسلامي،فمسألة أخرى تمام الاختلاف،إذا لا يمكن لشعوب حديثة عهد بلغة واردة وثقافة أجنبية طارئة أن تهضم وتستوعب أجناسا أدبية وفنية تمثل أرقى وأسمى ما وصل إليه فنّ من القول في بنيته وخياله وخصائصه غي مائة سنة أو مائتين، وفي ظل تواصلات ثقافية ولغوية وأدبية يغلب عليها الطابع الشفهي،والتباين في

---

[1]– محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، ص6–7. (ضمن التقديم)

[2]–عبد المالك مرتاض، الأدب الجزائري القديم دراسة في الجذور، دار هومة، الجزائر، 2006، ص57.

العادات والتقاليد والطبيعة العقلية والنفسية والاهتمام المطلق لفاتحين من نشر ما جاؤوا يحملونه لهذه البقعة الشاسعة العنيدة من هداية ونور"[1].

كماأن ارتباط الأدب الجزائري بالمشرقي ليس حجة لأن يظل تابعا له،" أن ارتباط أدبنا الجزائري المغمور بصنوه في المشرق ينبغي ألا يظلّ حجة علينا لئلا نتعنون بأدب جزائري ينبئ عن كياننا المستقل، ويمثّل هويتنا بجميع أجزائها التي تضامنت عبر تاريخها المرير حول بيئة جزائرية واحدة لها معالمها وحدودها وأصالتها"[2].

مما يراه الأديب الناقد الدكتور عبد الملك مرتاض أن الشعر الجزائري القديم على الرغم من قلة نصوصه يدل على شاعرية لا تنكر حتى وإن افتقرت إلى جو مخصب يبلورها ويفتت مكامنها آخذا على هذا الشعر المبكر في الجزائر اتخاذه الشعر المشرقي قدوة ومنوالا له"[3].

هذا لاينفي وجود دعوات إلى الاهتمام وإلى بناء أدب جزائري مستقل "أن الدعوة لبناء أدب جزائري وصنع موسوعة له ولرجالاته ومبدعيه لا يشكل إلا بردا وسلاما على الأدب العربي بعامة، ولن يكون بأي حال نقيضا له،ذلك أن التجارب أثبتت منذ الفتح العربي الإسلامي لهذه الربوع أنْ لا دارس من مطلع الشمس التفتت كثير الالتفات إلى هذا الأدب الذي يكاد يكون مجهولا لدى الخاصة من النقدة والأدباء المشرقيين"[4].

ثالثا: إشكاليات الأدب الجزائري القديم:

لايمكننا في مستهل هذه المحاضرات ان نتوقف عند مجموعة من الإشكاليات المفتاحية في قراءة الأدب الجزائر بصفة شالة وعميقة،ومن ذلك ما افتتح به عبد الملك مرتاض سلسلة طروحاته في الأدب الجزائري القديم ومنها:

---

[1]– محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، ص09. (ضمن التقديم).

[2]–م ن ، ص ن. (ضمن التقديم)

[3]– عبد المالك مرتاض، الأدب الجزائري القديم، ص22.

[4]–محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، ص10. (ضمن التقديم)

" الأدب العربي القديم في الجزائر :هل؟وما؟ولماذا؟ وكيف؟

إن إلقاء هذه الأسئلة بهذه الطريقة التي قد يمكن وصفها بالاستفزازية يعني –ومهما تكن الدوافع التي حملت على ذلك –أنه لا يجوز لنا حقا أن نتحدث عن هذا الأدب دون إثارة مثل هذه الأسئلة ولكن دون الالتزام أيضا بالإجابة عنها على سبيل الوجوب

وإذن فهل يوجد فعلا أدب جزائري قديم ؟وإذا كان موجودا حقا فما مدى حجمه على المستوى الكمي؟ ثم ما طبيعة هذا الحجم نفسه؟على المستوى النوعي:أي من حيث طبيعة نسج نصوصه وخصوصية مضامينه وتفرد خصائصه التي تطبعه بطابعها فيتميز بها بوجه عام؟ "[1].

أولا:**ماهية الأدب الجزائري القديم:**

" ما الأدب الجزائري القديم نفسه؟ أي ماهويته الحضارية؟ وما لسانه(...)ثم ماذا نعني بالقدم في هذا القديم؟ ومن أين يبتدئ هذا القديم في القدم؟ وإلى أين ينتهي؟ وهل القديم هنا هو حقا في مكانه من الاستعمال حيث لا نرمي به إلا إلى مابعد ظهور الإسلام في الربوع الجزائرية؟وهل إذن ينصرف قدم هذا الأدب إلى ذلك العهد وحده حقا أم كان يجب أن يجاوزه غورا ويعدوه طورا ليكون أدق في الدلالة وأصرم في المعنى؟ "[2].

" فهل هو هذا الأدب المفترض وجوده افتراضا والذي لا نعرف أو لا نكاد نعرف عنه شيئا مكتوبا أو مرويا من تلك العهود الموغلة في القدم؟أم هو هذا الأدب المكتوب المقروء الذي وصلنا والذي تعود نشأته الأولى الجديرة بالتوقف لديها إلى منتصف القرن الثاني للهجرة أو بعد ذلك قليلا؟"[3].

---

[1]– عبد المالك مرتاض، الأدب الجزائري القديم، ص05.

[2]– م ن، ص05.

[3]– م ن، ص 09.

ثانيا :إجابات عن تساؤلات لمرتاض:

-الأدب العربي القديم في الجزائر موجود ما في ذلك من ريب وان قدمه ينطلق أساسا من تاريخ تأسيس الدولة الرستمية التي يرتبط بعض الشعر والنثر بحكامها أنفسهم"[1].

-أما ما حملنا نحن على دراسة هذه الفترة المبكرة من عمر هذا الأدب الطويل فقد يعود إلى ما رأيناه من تقاعس الباحثين الجزائريين الشباب خصوصا وإصرارهم على التجانف عن مدارسة التراث الوطني بحجج واهية وعلل خاوية وتبريرات غاوية "[2].

ثالثا:نقص المصادر في الأدب الجزائري القديم:

" ولعل من مشاق البحث في الأدب الجزائري القديم أن يأتي في الطليعة ندرة هذه المصادر وضحالة المادة التي تشمل عليها حين توجد من وجهة وتكرار كثير منها عبر مراجع كثيرة دون زيادة او تفرد يذكران من وجهة أخرى"[3].

رابعا: بين الأمازيغي والعربي في الأدب الجزائري:

" فهل يمكن ان نتحدث عن الأدب العربي وحده في الجزائر، وذلك على افتراض وجود أدب أمازيغي أصلي أو عريق – راق ورفيع – كان مصاونا له في القيمة الجمالية ومعاصرا لفي الفترة الزمانية؟"[1].

---

[1]– عبد المالك مرتاض، تاريخ الأدب الجزائري القديم، ص09.

[2]– م ن، ص 10.

[3]–م ن، ص16.

نختتم محاضرتنا بملاحظات هامة لعل أهمها:

-أن دراسة الأدب الجزائري القديم تستوجب الاطلاع على بيئته الجغرافية والتاريخية والاجتماعية والثقافية لمعرفة الظروف والأجواء المحيطة به.

-كان السكان الأصليون للمغرب القديم مزيجا من قبائل مختلفة منها الأصلية ومنها المهاجرة وشكلت المجتمع البربري.

-كان للبربر ثقافاتهم واهتماماتهم بالعلم والثقافة التقاليد.

-انفتح البربر على الفاتحين وعلى الدين الجديد وتعلموا اللغة العربية وعاشا الطرفان معا بانسجام وتعاون وازدهار.

-واجه الأدب الجزائري القديم إشكاليات عديدة منها طابع هويته بين المشرقي والمغربي من جهة وبين لغة أصلية للبربر ولغة وافدة.

-لم يلق الأدب الجزائري القديم ذلك الاهتمام المنشود وظل كثير من الباحثين يؤرخون لهذا الأدب بسنوات قليلة مضت متناسين قرونا من تاريخه،كما يشتكي الباحثون من ندرةالمصادر والمراجع التي تعرفنا بهذا البحث.

المحاضرة الثانية:

الأدب الجزائري في عهد الدولة الرستمية

الدولة الرستمية: (160هـ -299 هـ) (776م -911م)

---

[1]- م ن، ص05.

الحياة السياسية :

الدولة الرستمية هي الدولة التي يمثل قيامها في بلاد المغرب ظاهرة لها أهميتها الحيوية في تلك المنطقة، من العالم الإسلامي، فهذه الدولة قامت نتيجة للجهود المضنية التي قام بها الخوارج الإباضية، بعد آن انتقلت إليهم مقاليد الصراع من فرقة أخرى من الخوارج وهي الفرقة الصفرية "[1]،تأسست هذه الدولة في أعقاب الاضطرابات التي حدثت بين قبائل الصفرية والإباضية، من جهة، وبين ولاة القيروان من جهة أخرى، حيث التأمت القبائل الصفرية والإباضية متجمعة، ضمن حلف واحد لكنها تفرقت بعد ذلك تبعا لتناقض لمصالح القبلية الضيقة "[2].

أما مدينة تيهرت فأسسها عبد الرحمن بن رستم بن بهرام وكان مولى لعثمان بن عفان رضه وكان حليفة لأبي الخطاب أيام تغلبه على إفريقية ولما دخل ابن الأشعث القيروان فر عبد الرحمن إلى الغرب بما خف من أهله وماله فاجتمعت إليه الإباضية وعزموا على بنيان مدينة تجمعهم فنزلوا بموضع تيهرت وهي غيضة بين ثلاثة أنهار فبنوا مسجدا من أربع بلاطات واختط الناس مساكنهم[3].

كانت هناك قبائل بالمغرب منها هوارة وزناته ولكنهم لم يتحدوا فيما بينهم وبقيت إمارة "بني رستم" الأقوى،و " تنتسب الدولة الرستمية إلى" عبد الرحمن بن رستم"الفارسي الذي استخلفه أبو الحطاب المعافري على القيروان بعد ان قرر ان يذهب إلى طرابلس ليقف في وجه الحملاتالتي اعتزم الخليفة العباسي' أبو جعفر المنصور' إرسالها إلى بلاد المغرب لإخماد

---

[1]–محمد عيسى الحريري، الدولة الرستميّة بالمغرب العربي، تقديم إبراهيم العدوي، دار القلم للنشر والتوزيع ط3، الكويت، 1987، ص09.

[2]–بوزياني الدراجي، دول الخوارج والعلويين في بلاد المغرب والأندلس، دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع والترجمة، الجزائر، 2007، ص09.

[3]– ابن عذاري المراكشي، بيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة ج س كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة، ط3، بيروت، لبنان، 1983، ص196.

الثورات الخارجية(...)فنزل ابن رستم بجبل على مقربة من 'تيارت' الحالية فلم يكد يسمع الإباضيون هذا الخبر حتى أموا عبد الرحمن فشدوا أزره فقوي حينئذ أمره وفكر في تأسيس مدينة تكون شارة استقلاله فاختطوها وشيدوها سنة 148هـ(775 وأصبحت قاعدة إمارتهم بل دولتهم التي دان لسلطانها المدن والقرى(..)وسميت هذه المدينة بتيهرت المعروفه 'بتقادمت' فتربع عبد الرحمن بن رستم على عرش أمارته سنة 160هـ(776م) فكان حينئذ أول مؤسس لدولة إسلاميةجزائرية مستقلة"[1].

الحياة الاجتماعية عند الرستميين:

رائد هذه الدولة كان الكتاب والسنة،ونظامها الديمقراطية الحقة، فالإمام يتعين في منصبه بالانتخاب ويشترط فيه النزاهة والكفاءة والمقدرة يعينه على القيام بالشؤون الإدارية مستشارون مخلصون وبالشؤون المالية أمناء محنكون،تحبه وتطيعه رعيته التي لا تتوصل إلى الوظائف إلا بالصلاح والورع والكفاءة ولغة الدولة الرستمية هي العربية إلا أن اللغة البربرية كان لها خطر كبير وقتئذ فهي لغة التخاطب فكثيرا ما كان يلجا إليها العلماء لإلقاء دروسهم الفقهية والدينية وعماد المجتمع الخلق الحسن والعادات الراقية والعلم الغزيرفبطبيعة الحال أن يكون راقيا(...)فالدولة كنت حسنة الجوار لا تعتدي على الغير ولا تريد اتساعا بالسيف القوة تفضل أنتأخذ بيد الشعب لوصول إلى ذرى الرقيوالازدهار المادي والأدبي فشيدت القصور والمساجد والمتنزهات وقصد العاصمة أهل العلم وأرباب الصناعات والحرف من شتى الأقطار الإسلاميةوتحسنت شؤون البلاد الاقتصادية فازدهرت الفلاحة والصناعة والتجارة فعم البلاد الاستقرار والأمن والرخاء"[2].

---

[1]– محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، ص71–72.

[2]– محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، ص72.

لقد تأسست دولة الرستميين إسلامية في قضائها،عربية في معارفها بربرية في عصبيتها فارسية في إدارتها،وما جمع بين هذه الأجناس غير الربطة الدينية"[1].

الحياة الثقافية عند الرستميين:

أصبحت تيهرت العاصمة العالمية للمذهب الخارجي،يؤمها الخوارج من جميع الأرجاء، فأضحت بذلك مركزا ثقافيا يضاهي بغداد وقرطبة، فعرف إذن الجزائريون الثقافة ونبغوا في مناحيها منذ عهد سحيق وخصوصا الثقافة الدينية لان الأئمة الإباضين كانوا علماء دين ورؤساء مذهب يتطلب من أصحابه أن يكون لهم ثقافة متينة وان يكونوا على أهبة للدفاع عن آرائهم بالحجة الدامغة"[2].

راهن الرستميون على الثقافة فاستثمروا في الكتاب ،فكان 'عبد الرحمن مفسرا وله في هذا الميدان تأليف وابنه 'عبد الوهاب' برز في العلوم الدينية ونبغ 'أفلح' في الأدب،يقال إن عبد الوهاب أرسل إلى إباضية البصرة ألف دينار ليشتروا له كتبا فلما بلغتهم اشتروا بها ورقا استنسخوه كتبا وتلك الكتب كانت وقر أربعين جملا كلها أرسلت إليه واتصل بها وكان بتيهرت مكتبة تسمى ' المعصومة' فيها الآلاف من المجلدات"[3].

خلاصة القول إن الحركة الثقافية نشطت نشاطا لم تعرفه الجزائر من قبل وقد شارك فيها أهل القيروان بعلومهم وآدابهم (...) وان تيهرت كانت تسمى عراق المغرب"[4].

نظرا لهذا الاهتمام فقد تطورت الحركة الأدبية وظهرت بواكير الأدب الجزائري القديم في عهد الدولة الرستمية، التي تعد في تقديرنا أول باكورة مستقلة من بواكير الأدب الجزائري وأول

---

[1]–مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج2، تقديم وتصحيح محمد الميلي، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1989، ص65.

[2]– محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، ص73.

[3]–محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، ص72.

[4]– م ن، ص73.

فسيلة تغرس في تيهرت لتؤتي أكلها بعد حين قصير بفضل مبدعين تعد إنتاجاتهم الجذور الحقيقية لنويات الأدب العربي في الجزائر، وسيجسد هذه الفترة الأدبيةالمبكرة شعراء وأدباء ودارسون لغويون مقارنون"[1].

الأجناس الأدبية في الفترة الرستمية:

إن الأدب العربي بعامة أثناء القرون الثلاثة الأولى للهجرة لم يكد يعرف إلا الجنسين التقليديين أو الأصليين وهما:الشعر والنثر وإذن فلم يكن منتظرا من الأدب العربي القديم في الجزائر وفي تلك الفترة المبكرة من تاريخه بالذات أن يكون بدعا من صنوه في المشرق والأندلس معا"[2].

أولا: النثر الرستمي:

حين نجيء إلى الحديث عن النثر الأدبي على عهد الدولة الرستمية في الجزائر وهو العهد الذي يمتد تقريبا من منتصف القرن الثاني إلى نهاية القرن الثالث للهجرة(160هـ-296 هـ) نلاحظ أن الدور الأدبي لهذا النثر لم يك شيئا ثانويا بل إننا نرى أنه أسهمبشيء من الفعالية والحركية في تأسيس الدولة الرستمية وتطور نظامها والتمكين لاتساعها وتخليد مكامن حضارتها"[3].

-الخطابة في العهد الرستمي:

لقد ازدهرت الخطابة في القرون الأولى للهجرة ازدهارا عجيبا وخصوصا أثناء القرنين الأول والثاني للهجرة بالمشرق[4].

---

[1]- م ن، ص20.

[2]- عبد المالك مرتاض، الأدب الجزائري القديم، ص57.

[3]- عبد المالك مرتاض، الأدب الجزائري القديم، ص82.

[4]- إحسان عباس، الخطابة العربية في عهدها الذهبي، دار المعارف، القاهرة، 1964، ص221.

وكان لهذا التطور في المشرق امتدادات في المغرب،وطبيعي أن تكثر الخطب والوصايا في عهد الدولة الرستمية، منذ تأسيسها في 160هـ إلى انتهاء مدة حكمها سنة 296هـ إذ كانت دولة إباضية وكان أئمنها لا يزالون يدعون رعيتهم في محيطها بتاهرت وخارج محيطها إلى امتثال دعوتهم مع تقوى الله"[1].

مقطع من خطبة افلح بن عبد الوهاب:

"قد علمتم –معشر المسلمين – أن السمح وزيري واخص الناس بي وأحبهم إلي، وانصحهم لدولتي، واني لا اصبر على فراقه،وقد آثرتكم على نفسي،تتميما لرغبتكم وها أنذا قد وليته عليكم فأحسنوا الطاعة والانقياد لأمره ماسار فيكم سيرة المسلمين، ولم يحد عن جادة العدل والإنصاف، ولم يرتكب مايؤذن بسخط الرب أو بمخالفتنا"[2].

لقد تميزت الخطب في عهد الدولة الرستمية باللغة السهلة الواضحة مراعاة لسكان الأصليين وللغة الأمازيغية العامية المتداولة بكثرة بين الأهالين كما كانت خطبا ذات محمولات دينية وعظية.

ثانيا: الشعرفي العهد الرستمي:

إن أول ما نلاحظ أن هذا الشعر حتما ضاع معظمه في الفتن فاحترق حين أحرق الشيعة مكتبة تيهرت العظيمة أو وقع تحت وطأة النسيان بفعل تغير إيديولوجيات الدول في الجزائر وخصوصا التحول الذي وقع من الإباضية إلى العبيدية..والاحتمالان الكثيران كلاهما وراد غير ممتنع(...) وإن مابقي من الشعر الجزائري القديم من وجهة وما استطعنا محن في حدود ما وصل إليه جهد بحثنا العثور إليه إلى يومنا هذا من وجهة أخرى يدل على شاعرية لا يمكن أن تنكر ولكنها كانت تفتقر إلى جو مخصب يبلورها ويفتق مكامنها ويفجر طواياها

[1]–شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات، دار المعارف، ط1، القاهرة، (دت)، ص222.
[2]– م ن، ص220.

وربما اتسم هذا الشعر بشيء من الإبداعية العالية التي كانت تتخذ لها أبدا المشرق العربي قدوة تقتدي بها ومنوالا تنسج عليه"[1].

ثالثا:نماذج أدبية من الفترة الرستمية:

"ظهر أول جيل من الأدباء الجزائريين الحقيقيين عالجوا الشعر وأحسنوا معالجته ولكن ظل يتسم بسمات المدرسة الشرقية المحافظة، وأساليب هذا الشعر متينة بحيث لا نجد فيه اختلافا من حيث الصناعة عما يعرف من شعر المشارقة على ذلك العهد، وأما الإنشاء فهو مرسل مطبوع لا يلتزم فيه سجع ولا يتكلف فيه توشية ونلمس فيما ظهر من البوادر الأولى للأدب الجزائري"[2].

تعد كتابات الفترة الرستميةأول باكورة مستقلة من بواكير الأدب الجزائري وأول فسيلة تغرس في تيهرت لتؤتي أكلها بعد حين قصير بفضل مبدعين تعد إنتاجاتهم الجذور الحقيقية لنويات الأدب العربي في الجزائر، وسيجسد هذه الفترة الأدبيةالمبكرة شعراء وأدباء ودارسون لغويون مقارنون"[3].

-الإمام أفلح الرستمي الفهري240هـ :

الإمام أفلح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم ثالث الأئمة الرستميين بتاهرت بويع بالإمامة بعد وفاة أبيه عام 190 للهجرة وكان مرشحا لها في حياة والده وكانت سيرته في الرعية سيرة حستة وكانت أيامه أيام رخاء ويسر وقد طالت مدة حكمه نحو الخمسين سنة عرف الشعب أثناءها الاستقرار والراحة والنعمة"[4].

---

[1]- عبد المالك مرتاض، الأدب الجزائري القديم، ص58-59.

[2]- محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، ص74.

[3]- محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، ص20. (ضمن التقديم)

[4]- شاوش محمد رمضان الغوثي وآخرون، إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر، مطبعة داود بريكسي، ط2، تلمسان، الجزائر، 2005، ص45.

نماذج من شعره(في فضل العلم وأهله):

العلم أبقى لأهل العلم آثارا

يريك أشخاصهم روحا وأبكارا

حيّ وإن مات ذو علم وذو ورع

مامات عبد قضى من ذاك أوطارا

وذو حياة على جهل ومنقصة

كميت قد ثوى في الرمس أعصارا

لله عصبة أهل العلم إنّ لهم

فضلا على الناس غيّابا وحضارا..

العلم علم كفى بالعلم مكرمة

والجهل جهل كفى بالجهل إدبارا

العلم عند اسمه أكرم به شرفا

والجهل عند اسمه أعظم به عارا

يشرف العلم للإنسان منزلة

ويرفع العلم للإنسان أقدارا

العلم ذر له فضل ولا احد

في الناس يدري لذاك الذر مقدارا

للعلم فضل على الأعمال قاطبة

عن النبي روينا فيه أخبارا

يقول طالب علم بات ليلته

في العلم أعظم عند الله أخطارا

من عابد سنة لله مجتهدا

صام النهار وأحيى الليل أسهارا"

نموذج من رسائل أفلح:

(إلى ميال بن يوسف) في حق(نفات بن نصر النفوتي بعد إثارته لزوبعة كلامية)

"انتهى إلي الكتاب الذي كتب به إليك تحيه بن عبدين.فقراته وفهمت كل ما ذكره لك فيه عن كل خائب جاهل بما هو عليه متحامل على ما علم له به، متخبط في أموره خبط عشواء، لم يبلغ العلماء فيقتبس منهم ولم يصحب أهل الورع فتحجزه آثارهم عن الهجوم على ما لا علم له به، لكنه نشأ وحيدا وأقام متوحشا من العلماء،فتقلب في جوانحه الشيطان بنفخاته فأورثه الكبر على قلبه، تكلم به مصيبا كان أو مخطئا، وما أصابه من شيء على غير علم فإصابته خطأ إذا تكلم بما لا علم له به، وما أصابه من خطإ فهو مخطئ فيه.."[1].

-بكر بن حماد التاهرتي(200-296هـ):

هو أبو عبد الرحمن بكر بن حمادبن سهل بن أبي إسماعيل الزناتي، ولد بتيهرت حوالي سنة 200هـ(816 م) ونشأ بها، انكب من صغره على الدرس فتعلم على مشاهير علماء بلده ولم يلب ثان فارق وطنه وهو في حداثة سنه،عام217هـ(832 م) فشخص إلى القيروان في

[1]- محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، ص74-75.

طلب العلم فأخذ عن علماء تلمك المدينة(...) ثم ارتحل إلى الشرق فدخل بغداد وكانت يومئذ زاخرة بالعلماء فاتصل بهم وأخذ عن أبي مسدد وعمر بن مرزوق وبشر بن حجر ولقي أدباء لهم ذكر وصيت منهم أبو تمام ودعبل الخزاعي وعلي بن الجهم ومسلم بن الوليد صريع الغوانيوابن الأعرابي والرياشي... فصاحبهم وكانتله معهم مساجلات أدبية أسفرت عن ثبوت قدمه في الآداب وفي صناعتي الشعر والنثر(...)وماعتم أن قفل راجعا إلى مربع صباه فدخل في طريقه إلى القيروان سنة 274 هـ(887م) فتصدر لإقراء هناك،فانهال عليه الطلبة من كل فج وصوب فترامى صيته في الآفاق وصل خبره إلى الأندلس فقصده الكثير من أهلها للأخذ منه والتخرج على يده"[1].

نماذج من شعره:

(معارضته لعمران بن حطان الذي مدح 'ابن ملجم 'قاتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه)

قل لابن ملجم ولأقدار غالبة

هدمت ويلك للإسلام أركانا

قتلت أفضل من يمشي على قدم

وأولَّ الناس إسلاما وإيمانا

وأعلم الناس بالقرآن ثم بما

سنّ الرسول لنا شرعا وتبيانا

---

[1]– م ن، ص75.

صهر الرسول ومولاه وناصره

أضحت مناقبه نورا وبرهانا

وكان منه على رغم الحسود له

مكان هارون من موسى بن عمرانا

وكان في الحرب سيفا صارما ذكرا

ليثا إذا لقي الأقران أقرانا

ذكرت قاتله والدمع منهمر

فقلت سبحان رب الناس سبحانا

إني لأحسبه ماكان من بشر

يخشى المعاد ولكن كان شيطانا

كعاقر الناقة الاولى التي جلبت

على ثمود بأرض الحجر خسرانا

فلا عفا الله عنه ماتحمله

ولا سقى قبر "عمران بن حطانا"[1].

وقال في رثاء ابنه:

بكيت على الأحبة إذ تولوا

[1]– شاوش بن محمد رمضان، الدر الوقاد من شعر بكر بن حماد، مطبعة العلوم، ط1، مستغانم، 1966، ص62.

ولو أني هلكت بكوا عليا

فيا نسلي بقاؤك كان ذخرا

وفقدك قد كوى الأكباد كيّا

كفى حزنا بأني منك خلو

وأنك ميت وبقيت حيّا

ولم أكُ آيسا فيئست لما

رميت الترب فوقك من يديا

فليت الخلق إذ خلقوا بواق

وليتك لم تكن يا بكر شيذا

فلا تفرح بدنيا ليس تبقى

ولا تأسف عليها يا بنيا

فقد قطع البقاء غروب شمس

ومطلعها علي يا أخيا

وليس الهم يجلوه نهار

تدور له الفراقد والثريا"[1].

-البزاز:

[1]- محمد بن رمضان شاوش، الدر الوقاد من شعر بكر بن حماد، ص87-88.

" هو أبو الفضل أحمد بن القاسم التميمي البزاز، أقبلمن صغره على العلم فأتقن فنونه وتصدر للإقراء روى عن علماء كثيرين منهم أبو عمر بن عبد البر"[1].

-يهودا بن قريش التاهرتي:

عاش في القرن الرابع الهجريكان يحسن العربية والعبرانية والبربرية والآرامية والفارسية، وقد اهتم بالبحث في اللغات وحاول المقارنة بين العبرانية والعربية والبربريةهو بذلك واضع أساس النحو التنظيري وكتابه في ذلك باللغة العربية وجد بمكتبة" إكسفورد" بأنقلترا ويعد أنفس كتاب في الموضوع "[2].

أبو سهل:

" كان يحسن زيادة على العربية اللهجة البربرية، ألف فيها مصنفات احترقت في الفتن التي اصيبت بها ' تيهرت' أواخر الحكومة الرستمية سنة 305هـ (917 م) وناهيك برجل تولى خطة الترجمة للإمامين أفلح ويوسف"[3].

---

[1]- محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، ص76.

[2]- م ن، ص ن.

[3]- محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، ص76.

المحاضرة الثالثة:

الأدب الجزائري في عهد الدولة الأغلبية:

الحياة السياسية :

في الوقت الذي كان فيه بنو رستم حاكمين في الجزائر استقلت ' افريقية' عن الخلافة بالمشرق مع احتفاظ الأغالبة بذكر اسم الخليفة على المنابروإرسال جزية سنوية وقد امتد نفوذهم في المغرب الأوسط إلى مدينة بجاية في الشمال ومدينة طبنة التي كانت تقع في وسط إقليم الزاب الجزائري(...)استقبلت عهدا جديدا عندما افتتحها العرب في عهد موسى

بن نصير وكان حاكمها وقتئذ 'كسيلى الأوربي' فأصبحت تابعة لولاة العرب وعمرتها أسر عربية إسلامية"[1].

تولى إبراهيم بن الأغلب عليها وجعلها وراثية وذلك في اواسط جمادى الثانية سنة 184هـ (...)فاستقلت البلاد ونتج عن ذلك الاستقلال تغيير روحي ونشاط فكري فانتقل إبراهيم بن الاغلب إلى عاصمته القيروان وأصبحت طبنة من أهم مراكز بني الأغلب الحاكمين باسم العباسيين في إفريقية ومنطقة الزاب الجزائري فحصنوها تحصينا قويا وحشدوها بالجنود وانشدوا لحكمها خيرة رجالهم"[2].

الحياة الاجتماعية:

كان سكان طبنة خليطا كما شهد بذلك المؤرخون الذين زاروها وقتئذ وماذهبوا غليه صحيح لان تلك المدينة كان يسكنها عناصر مختلفة في الاطزار التي عاشتها،كان بها البربر وعناصر من الجند الروماني والوندالي والبيزنطي ثم العرب ثم جنود بني الأغلب وهم كذلك خليط من " فارسيين وسوريين وعراقيين وغيرهم"[3]، كان بها قصور وحدائق غناءما يفسر ان البلد كان يتمتعباقتصاد يبعث على الارتياح وكيف لا وهو أكبر بلد بالمغرب بعد القيروان واهم سوق وسط إقليم الزاب تؤمها القوافل التجارية عن كل جانب من إفريقية وغرب المغرب الأوسط والصحراء"[4].

الحياة الثقافية:

---

[1]- محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، ص85-86.

[2]- م ن، ص86.

[3]- محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، ص86.

[4]- م ن، ص ن.

لم يكتف سكان طبنة وما إليها من الزاب بالسعي وراء ما يتصل بوجودهم المادي فنزعوا إلى الاستمتاع بالجمال الذي يتمثل في أساليب التعبير والآداب والفنون وإلى كشف المجهول(...)فلم تلبث طبنة ان صارت دار علم..."[1].

الأدب:

قيض الله للأدب من يدفع به إلى الأمام فإن مؤسس الدولة' إبراهيم بن الاغلب' كان عالما أديبا يجيد الشعر والنثر والأمراء الذين تعاقبوا من بعده على كرسي المملكة كانوا كذلك"[2]

فإن لم نحصل على نصوص لكتاب طبنة تلقي ضوءا على مكانتهم الأدبيةفبين أيدينا من إنتاج من عاصروهم من الإفريقين والمشارقة فتتسم مقالات هؤلاء وأولئك بسمة واحدة إذ أنهم رتعوا كلهم من حوض ثقافي واحد هو المشرق العربي ولم تنجب الجزائر الشرقية في القرن الثاني أعلاما في ميدان القريض فقد طغى عليه الفقه فجاء شعر تلك الفترة بسيطا تعوزه الصورة والخيال وقوة الأسر ولكن لم يستهل القرن الثالث حتى أخذت أساليب قرض الشعر تتطور فنلمس فيه إثر الحذق والمهارة والخيال"[3].

-نماذج أ دبية:

أبو عبد الله محمد بن الحسين(300-394هـ):

هو أبو مضر محمد بن الحسين التميمي الحماني الطبني الزابي ولد ونشأ بطبنة وبها تلقى دروسه الأولى وبقي بها إلى أن بلغ الخامسة والعشرين ثم غادرها موليا وجهه نحو الغرب

---

[1]- م ن، ص 86-87.

[2]- م ن، ص89.

[3]- محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، ص90.

فانتقل إلى الأندلس ودخل قرطبة(...)كان محمد بن الحسين الطبني عالما بأخبار العرب وأنسابهم كما كان أديبا مكثرا وأديبا متقنا"[1].

وكل عدو أنت تهدم عرشه

وكل فتوح عنك يفتح بابها

وإنك من عبد المليك الذي له

حلى:فتح قرطاجنة وأنت بها

حياها أبو مروان جدك قابضا

بكف تليد طعنها وضرابها

فإن سنحت في الشرك من بعد فتحه

فتوح فمصروف إليك ثوابها

ويقول الشاعر نفسه أبوعبد الله محمد بن الحسين وهو يتأسف على عدم السبيل للوصول إلى حبيبته وكانت هجرته :

صدقت ظبية الرصافة عنا

وهي أشهى من كل ما يتمنى

هجرتنا فما إليها سبيل

غير أنّا نقول:كانت وكنا"[2].

---

[1]– شاوش بن محمد رمضان الغوثي، إرشاد الحائر إلى أثار أدباء الجزائر، ص88.

[2]– ابن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب، تحقيق شوقي ضيف، ج1، دار المعارف، ط4، القاهرة، ص207.

ويقول أبو عبد الله محمد بن الحسين في ربوع خلت من أهلها وأحبابه:

وأصبحت بعد أشواق ربوعهم

مثل السطور إذا ما رثّت الكتب

فقرا يبابا كأنْ لم تَغن آهلةً

تبكي على حتفها غربانها التعب

كان باقي مغانيها وأرسمها

سيفا حمائله المجرة معرقا

لقد نوه بذكره المؤرخون وجعلوه في مصاف شعراء عصره الكبار المطبوعين ولعلهم ليسوا بالمسرفين في حكمهم هذا فكان شاعرا قبل أن يغادر مسقط رأسه ماجعل بعضهم يقول:إنه لم يصل إلى الأندلس أشعر منه"[1].

الشاعر: زيادة الله أبومضر

"ولد هذا سنة 336هـ وسكن قرطبة فكان أديبا شاعرا(...) فكان أبو مضر نديم محمد بن أبي عامر أمتع الناس حديثا ومشاهدة وأنصعهم ظرفا وأحذقهم شحذا وملاطفة وآخذهم بقلوب الملوك "[2].

نماذج من شعره:

قال مهنئا عبد الرحمن بن أبي عامر بولاية العهد:

تخير الله والسلطان لأمم

---

[1]– محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، ص94.

[2]– محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، ص95.

وليّ عهد براه الله من كرم

لا يعدم الملك منه أن يشيد له

عزا سديدا بضرب السيف والقلم

اختاره الله للإسلام يحفظه

وخصه بعلو القدر والهمم

وقال أبو مضر أيضا في قصيدة أخرى:

بولي عهد المسلمين سما التقى

وابيض وجه الدين حتى أشرقا

الآن أبلغت الخلافة سؤلها

وغدا لها رأي الإمام موفقا

عقد الغمام لها فأثبت عزها

بولاية العهد عهدا موثقا

ملك ترى نور الهدى بجبينه

متبلجا وسنى التقى متألقا

لو أن مكة تستطيع زيارة

لأتت إليه مودة وتشوق

الشاعر أبو مروان الطبني:

من ثنية الشرف وحسب من اهل حديث وادب وإمام في اللغة متقدم فارع لرتب الشعر متسنم له رواية بالأندلس ورحلة إلى المشرق ثم عاد وقد توج بالمعارفكان أبو مروان هذا أحد حماة سرح الكلام وحملة ألوية الأقلام من أهل بيت اشتهروا بالشعر اشتهار المنازل بالبدر[1].

من أشعاره:

وضاعف ما بالقلب يوم رحيلهم

علي به منهم حنين الأباعر

واصبر عن أحباب قلب ترحلوا

ألا إن قلبي سائر غير صابر

قال فيه لبن بسام في كتابه الذخيرة:

"كان أبو مروان من أهل الحديث والرواية ورحل إلى المشرق وسمع من جماعة من المحدثين بمصر والحجاز.قتل بقرطبة سنة سبع وخمسين وأربعمائة"[2].

وقال أبو مروان:

وأني إذا حضرتني ألف محبرة

تقول أنشدني طورا وأخبرني

يا حبذا ألسن الأقلام ناطقة

هذي المكارم لا قعبان من لبن

---

[1]–أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني، كتاب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، القسم الأوّل، المجلّد الأول، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1997، ص35.

[2]–أبو الحسن علي بن بسام، كتاب الذخيرة، ص53.

قال مادحا كتاب العين للخليل ونعامته:

حسبي كتاب العين علق مضنة

ومن النعامة لا أريد بديلا

هذي تقرب كل بعد شاسع

والعين يهدي للعقول عقولا

كلام في أبي مروان:

" إن شعر أبي مروان الذي بين يدينا قليل ولكنه ينم على قلته عن مقدرة لا بأس بها في هذا اللون من الشعر وباعه يظهر جليا"[1].

المحاضرة الرابعة:

الأدب الجزائري في عهد الدولة الإدريسية

-تأسيس الدولة الإدريسية:

[1]- محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، ص99.

كان إسحاق الأوربي أمير قومه فلما نزل عليه إدريس عرفه بنفسه وكاشفه بسره وانه يريد ان يؤسس للطالبيين بالمغرب ما عجزوا عنه بالمشرق،فأجابه إسحاق إلى ما أراد،ولما كان شهر رمضان جمع عشيرته وعرفهم بإدريس وقرر لهم علمه وفضله ودينه، وعرض عليهم مبايعته،فأجابوه وبايعوه على السمع والطاعة"[1].

تأسست الدولة الإدريسية سنة 172هـ(788م) وانتهت بالقبض على حسن الحجام سنة 311 هـ(923م) فكانت مدتها 139 سنة قمرية، ومملكة الأدارسة واسعة النطاق تشتمل على المغرب الأقصى أجمع وبعض المغرب الأوسط، وبها حصون طبيعية ومعاقل ممتنعة"[2].

نشأت الدولة الإدريسية بواسطة إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن على كرم الله وجهه، وذلك سنة 172هـ ببلدة وليلي بالمغرب الأقصى، حيث تم ذلك في حماية قبيلة أوربة البرنسية"[3].

الحياة الثقافية:

ما يمكن الاستشهاد به من نصوص أدبية ترجع إلى الفترة الزمنية التي أظلت الدولة الإدريسية، ليس بالشيء الكثير من حيث الكم والكيف، من ذلك –مثلا– ماورد في بعض

---

[1]– مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ص96.

[2]– م ن، ص112.

[3]– بوزياني الدراجي، دول الخوارج والعلويين في المغرب والأندلس، ص208.

المصادر من نصوص شعرية ونثرية نسبت إلى الملوك الأدارسة، وإلى الأدباء المقيمين أو الوافدين على بلاط الدولة الإدريسية"[1].

نماذج أدبية:

سنورد في البداية بعض النماذج الادبية النثرية ومنها في فن الخطابة:

نموذج من خطبة إدريس الأول(خطبة قصيرة جدا)

"بعد حمد الله والصلاة على نبيه،لاتمدن الأعناق إلى غيرنا،فإن الذي تجدونه عندنا من الحق لا تجدونه عند غيرنا"[2]،وهي خطبة تميزت بالقصر الشديد ودقة في اختيار الألفاظ وشكولية في الطرح من مبدأ ماقل ودل.

نموذج شعري لإدريس الثاني:

لومال صبري بصبر الناس كلهم

لضل في روعتي أو ضل في جزعي

وكيف يصبر مطويّ هضائمه

على وسواس هم غير منقطع

إذا الهموم توافدت بعد هجعته

كرت عليه بكاس مرة الجرع

بان الأحبة واستبدلت بعدهم

---

[1]– بوزياني الدراجي، دول الخوارج والعلويين في المغرب والأندلس، ص272.

[2]–عبد الرحمن بن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السّلطان الأكبر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، مج1، 1967، ص؟.

هما مقيما وشملا غير مجتمع

كأني حين يجري الهم ذكرهم

على ضميري مخبول من الفزع

تأوي همومي إذا حركت ذكرهم

إلى جوانح جسم دائم الولع

وهناك أبيات نسبت إلى إدريس الثاني يخاطب ابن الأغلب:

أذكر إبراهيم حق محمد

وعترته والحق خير مقول

وادعوه للأمر الذي فيه رشده

وماهو لولا رأيه بجهول

فإن آثر الدنيا فإن أمامه

زلازل يوم للعقاب طويل

-الشاعر القاسم بن إدريس:

سأترك للراغب الغرب نهبا

وإن كنت في الغرب قيلا وندبا

وأسمو إلى الشرق في همة

يعز بها رتبا من أحبا

واترك عيسى على رأيه

يعالج في الغرب هما وكربا

ولو كان قلبي عن قلبه

لكنت له في القرابة قلبا

وإن أحدث الدهر من ريبه

شقاقا علينا وأحدث حربا

فإني أرى البعد سترا لنا

يجدد شوقا لدينا وحبا

ولم نجن قطعا لأرحامنا

نلاقي به آخر الدهر عتبا

وتبقى العداوة في عقبنا

وأكرم به حين نعقب عقبا

وأوثق من ذاك جوب الفلاة

وقطع المخارم نقبا فنقبا

المحاضرة الخامسة:

الأدب الجزائري في عهد الدولة الفاطمية

الفترة الفاطمية/الحياةالسياسية:

طابت الحياة في الزاب تحت ظل الدولة الأغلبية وتمادت إلى أن ظهر مذهب الشيعة أواخر القرن الثالث نشأ هذا المذهب في المشرق بعقائده وقواعده (...)ولم يعظم خطره حتى جاء أبو عبد الله الصنعائي وهو الحسن بن أحمد بن محمد بن زكريا ونزل بقبيلة 'كتامة' وأخذ يبث الدعوة الشيعية فنجح في أمره، تبعه خلق كثير من 'كتامة' و'هوارة' واستطاع أن يؤلف منهم جيشا قضى على الدولة الأغلبية ونزل "برقادة" حيث غادرها 'زيادة الله' أخير ملوك الأغالبة،فارا إلى المشرق(...) فجلس عبد الله المهدي على عرش المملكة"[1].

الحياة الاجتماعية:

أهم ما تميزت به الفترة الفاطمية بالجزائر هو الصراع بين السنيين والشيعيين، لأن " مبادئ الشيعة متطرفة فأغضبت وأثارت أهل السنة عليهم فناظروهم وساجلوهم ولكنهم قاسوا من جراء ذلك محنا لا تنسى فاستشهد عدد عظيم منهم ولم ينج من أذى الإسماعيلية من السنين إلا من غادر البلاد إلى المشرق أو الأندلس(...) فإن سياسة الفاطميين أضرت بالحياة الاجتماعية والدينية والاقتصادية في أوائل أيامهم، قضوا على الأحزاب المعارضة واستتب لهم الأمر فعاد حينئذ إلى البلاد مافقدته من الاستقرار وعاد إليها الرخاء[2].

الثقافة والأدب:

كان الفاطميون يهتمون بالفنون فاعتنوا بالزركشة والزخرفة فيما شيدوامن البنايات ومن آثارهم المعمارية بالجزائر تشييد' المسيلة'(...)فأصبحت المسيلة هي عاصمة الزاب عوض

---

[1]- محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، ص103.

[2]- محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، ص103-104.

'طبنة'وبلغت من الحضارة والعمران ما جعلها كعبة العلم والأدب فقصدها ارباب الثقافة من كل فج وصوب والفضل في ذلك يرجع إلى مؤسسها ووالیها' علي بن حمدون"[1].

ومن أهم سمات النصوص الأدبية في هذه الفترة أنها كانت ذات مسحة دينية كبيرة،حيث نافح أدباء وفقهاء السنة بالنثر تارة وبالشعر تارة أخرى ولكنهم لم يقصدوا من شعرهم ونثرهم الفن وإنما الوصول إلى الإقناع وذلك يدعو غلى استخدام العقل لا الخيال والتحبير والتنميق فيتركون ذلك إلى خصومهم الذين يتملقون بأدبهم إلى الخليفة وعماله طمعا في إكرامهم وصلاتهم وحمايتهم"[2].

نماذج من أشعارهم:

محمد بن هاني الأندلس(نزيل المسيلة)(326-363هـ)

هو أبو القاسم محمد بن هاني الأزدي الأندلسي أصله من المهدية الإفريقية لكن أباه انتقل إلى الأندلس واستقر بقرية قرب اشبيلية فولد له الشاعر بها ثم تلقى دروسه بإشبيلية فحصل على حظ وافر من الأدب والشعر كما أن أباه الذي كان شاعرا أيضا كان يعضده ثم اتصل بوالي إشبيلية وحظي عنده إلا أنه انغمس في الملاذ واتهم بمذهب الفلاسفة فنقم عليه سكان البلاد ونقموا حتى على أميرهم فأشار عليه هذا الأخير بالهجرة ريثما تهدأ الأفكار فخرج منها قاصدا المغرب الأوسط عام 535 هـ فتوجه إلى المسيلة قاعدة الزاب يومئذ ونزل على واليها جعفر وأخيه يحيى ابني علي بن حمدون المعروفين بابني الأندلسية فمدحهما وأكرماه غاية الإكرام"[3].

---

[1]- م ن، ص104.

[2]- م ن، ص105.

[3]- شاوش بن محمد رمضان الغوثي، إرشاد الحائر إلى أثار أدباء الجزائر، ص 76.

كان ابن هاني يستمع لما يرد من أحاديث جهاد الدولة الفاطمية في ' المغرب' واعتنائها بالشعر الذي كان أهم أسلحة تعتمد عليه في نشر دعوتها وإنجاح سياستها وكانت نفسه تواقة إلى العيش الرغد وميالة إلى الملاذ فأزمع على الهجرة إلى المغرب لعله يجد فيها ما يرضي نفسه الطموح"[1].

ابن هاني يمدح جعفر بن علي بن حمدون[2]:

ألا أيها الوادي المقدس بالطوى

وأهل الندى قلبي إليك مشوق

ويا أيها القصر المنيف قبابه

على الزاب لا يسدد إليك طروق

ويا ملك الزاب الرفيع عماده

بقيت لجمع المجد وهو فريق

فما انس لا أنس الأمير إذا غدا

يروع بحري ملكه ويروق

فللجود مجرى من صفيحة وجهه

إذا كان من ذاك الجبين شروق

وهززته للمجد حتى كأنما

---

[1]– محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، ص105.

[2]– شاوش بن محمد رمضان الغوثي، إرشاد الحائر إلى أثار أدباء الجزائر، ص77.

جرت في سجاياه العذاب رحيق

أما وأبي تلك الشمائل إنها

دليل على أن النجار عتيق

فكيف بصبر النفس عنه ودونه

من الأرض معبر الفجاج عميق

فكن كيف شاء الناس أو شئت دائما

فليس لهذا الملك غير فوق

ولا تشكر الدنيا على نيل رتبة

فما نلتها إلا وأنت حقيق "

جعفر بن فلاح الكتامي(360هـ):

هو أبو الفضل جعفر بن فلاح بن أبي مرزوق الكتامي أحد زعماء كتامة ورجالهم الذين شادوا بناء الدولة العبيدية بالمغرب أولا ثم بالمشرق ثانيا حيث كان جعفر هذا يعمل تحت إمارة جوهر الصقلي فاتح مصر وقد وجهه هذا إلى الشام(...) كان جعفر بن فلاح أديبا شاعرا فصيحا ذا نباهة وشأن حتى أن القرمطي الذي قتله بكى عليه ورثاه لما عرف من فضله مع انه كان عدوا له"[1].

يقول جعفر الكتامي في مدح صديق:

ولي صديق ما مسني عدم

[1]– الغوثي، إرشاد الحائر إلى أثار أدباء الجزائر، ص73.

مذ نظرت عينه إلى عدمي

أعطى وأقنى لم يكلفني

تقبيل كف له ولا قدمي"[1].

ويقول أيضا:

ويوم كأن الغيم تحت سمائه

حكى مقلتي سحا ولم يحكني ضنا

كأن الغوادي بالمثاني نضحنه

وألبسنه ثوبا من الخز أدكنا"[2].

محمد بن المنيب:

لا يكاد يُعلم عن حياة وآثار هذا الشاعر سوى أنه كان من جملة الشعراء الذين كانوا في ركاب الخليفة إسماعيل المنصور العبيدي حين حصاره لأبي يزيد بن مخلد الخارجي الذي اعتصم عند انهزامه بحبل كيانه من بلاد كتامة عام 335 هـ"[3].

من أشعار محمد بن المنيب:

حل البلاء بمخلد

وجميع شيعته النواكر

أمسى بأرض كيانه

---

[1]– م ن، ص74.

[2]– م ن، ص ن.

[3]– الغوثي، إرشاد الحائر إلى أثار أدباء الجزائر، ص86.

قد بان منه كل ناصر

يرنو بطرف خاشع

نظر المحاصر للمحاصر

يرنو إلى عدد الحصى

والرمل من تلك العسائر

يا مخلد بن سبيكة

يا شر بيت في العساكر

ذق ما جنته يداك قبل

من الكبائر والصغائر

ذق هول شقك للبطون

وما ارتكبت من الجرائر[1].

محمد بن الحسين التميمي الطبني(300-394 هـ)

هو أبو مضر محمد بن الحسين التميمي الحماني الطبني الزابي ولد ونشأ بطبنة وبها تلقى دروسه الأولى وبقي بها إلى ان بلغ الخامسة والعشرين سنة ثم غادرها موليا وجهه نحو الغرب فانتقل إلى الأندلس ودخل قرطبة عام 325 هوولي الشرطة بها في ايام عبد الرحمن

[1]- م ن، ص87.

الناصر وابنه الحكم المستنصر(...)كان محمد بن الحسين الطبني عالما باخبار العرب وأنسابهم كما كان شاعرا مكثرا وأديبا متقنا حتى قيل:إنه لم يصل إلى الأندلس أشعر منه"[1].

نماذج من شعره(مادحا الخليفة الحكم بن عبد الرحمن الناصر):

نظر الإله إلى البرية رحمة

فاختار أفضلها لها وتخيرا

ملك أقام العدل في أيامه

سوقا فصار الحق فيه متجرا

لم يجر طيب ذكره في مجلس

إلا حسبت به الهواء تعطرا

ملا العباد سناؤه وثناؤه

عدلا فأكسد مسكها والعنبرا

لا يبتغي الساري دليلا نحوه

فالبدر من لألائه قد أسفرا

يجلو ظلام الليل نور جبينه

فكان مرتتق الدجنة فجرا (14من "المقتبس" لابن حيان ص60)[2].

عبد الله بن قاضي ميلة:

---

[1]– الغوثي، إرشاد الحائر إلى أثار الأدباء الجزائر،ن ص89.

[2]– الغوثي، إرشاد الحائر إلى أثار أدباء الجزائر، ص90.

هو أبو محمد عبد الله بن محمد التنوخي المعروف بابن قاضي ميلة.وكل مانعلم عنه انه كان معاصرا لابن رشيق وانه دخل صقلية ومدح أميرها ثقة الدولة الكلبي في عيد النحر بقصيدة بديعة(...) إن ابن قاضي ميلة من مدرسة عمر بن أبي ربيعة يسلك طريقه في نظم الأقوال والحكايات الحسنة الغريبة وينعته ابن رشيق بانه" شاعر لسن مقتدر"[1].

من شعر ابن قاضي ميلة:

مادحا الأمير ثقة الدولة الكلبي ملك صقلية:

يذيل الهوى دمعي وقلبي المعنف

وتجني جفوني الوجد وهو المكلف

وإني ليدعوني غلى ما سبقتني

وفارقت مغناه الأغن المشنف

واحور ساجي الطرف أما وشاحه

فصفر وأما ردفه فصفوف

يطيب أجاج الماء من نحو أرضه

يجبى ويندى ريحه وهو حرجف

وآيسني من وصله أن دونه

متالف تدري الريح فيها فتتلف

أبو حبيب المسيلي:

---

[1]– م ن، ص97.

هو أبو حبيب عبد الرحمن بن أحمد المسيلي ولد بالمحمدية أي المسيلة وبها تأدب ثم دخل الأندلس مع أبه ولم يزل إلى وفاته وقد عاش في عهد الخليفة المؤيد.خالط أبو حبيب أهل الأقدار حتى برز في الأدب وصناعة الشعر ولم يكن متكسبا بالشعر ولا طالبا جزاء عليه"[1].

من شعره:

أعدى على الحر من أعدائه الزمن

حظ المهذب من أيامه المحن

مكابد فيه ألوانا يزاولها

صبر الجليد ويجفو جفنه الوسن

يبيض من هولها رأس الوليد أسى

ويغتدي أسودا في ضرعه اللبن[2].

المحاضرة السادسة:

الأدب الجزائري في عهد الدولة الصنهاجية:

أصول الصنهاجيين:

صنهاجة إحدى قبائل البرانس من البربر ،وإنهم ألأعظم قبائلها بالمغرب، لايكاد قطر من أقطاره يخلو من بطن من بطونه،في جبل أو بسيط حتى زعم كثير من الناس أنهم ثلث البربر(...)إن النسابين من العرب زعموا إن صنهاجة وكتامة من حمير خلفهم الملك إفريقيش

---

[1]– الغوثي، إرشاد الحائر إلى أثار أدباء الجزائر، ص106.

[2]– م ن، ص107.

بالمغرب فاستحالت لغتهم إلى البربرية"[1]، وحول منشإ صنهاجة دافع علماء الأنساب البربر والعرب عن نظريتين متناقضتين:

-نظرية علماء الأنساب البربر:

لقد قسم علماء الأنساب البربر القبائل البربرية إلى مجموعتين رئيسيتين:البرانس أعقاب برنس بن بر،والبُتر المنحدرون من سلالة مادغيس الأبتر بن بر[2].

-نظرية علماء الأنساب العرب:

"من المعلوم أن علم الأنساب العربي التقليدي قد ميز بين عرب الشمال أو العدنانيين، المنحدرين من عدنان بن إسماعيل وبين عرب الجنوب أو القحطانيين، الذين هم من سلالة

القحطان المطابق ليقطان بن عابر[3].

كما ساد الصنهاجيون غيرهم من البربر ويرجع ذلك لكثرة عددهم وشجاعتهم ، وحسن تدبير زعمائهم"[4].

الحياة الثقافية:

---

[1]- أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، ج1، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب الدار البيضاء، 1954، ص101.

[2]- هادي روجي إدريس، الدولة الصنهاجيّة، ج1، نقله إلى العربية حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، لبنان، 1992، ص30.

[3]- هادي روجي إدريس، الدولة الصنهاجيّة، ص32.

[4]- محمد الطمار، المغرب الأوسط في ظلّ صنهاجة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائريّة، 2010، ص114.

رزق الله في هذه الفترة ملوكا عنوا بالعلم وأهله فنهضت الثقافة على يديهم نهضة كبيرة أسسوا المدارس والمعاهد العلمية ازدحم عليها الكثير من العلماء والحكماء والأطباء والأدباء وأهل الفنون الرياضية والهندسية وأغدقوا عليهم صلاتهم وهذه الوفرة من أهل العلم لم تعرفها الجزائر من قبل وحتى في أيام بني رستم التي اتضحت معها الشخصية العلمية الجزائرية. وشهرة الحماديين بتقريبهم للعلماء ورعايتهم للعلم جلبت الكثير من عباقرة ' تونس'والأندلس والشام والحجاز والعراق وصقلية والعجم"[1].

أشهر المثقفين في هذه الفترة:

من اشتهر من المثقفين الجزائريين في هذه الآونة: المحدث الكبير أبو بكر بن يحي بن عبد الله بن محمد بن يحي القرشي الجمحي الوهراني (...)والعالم الشيخ أبو القاسم يوسف بن علي جبارة بن محمد بن عقيل الهندلي البسكري(...) والفقيه عبد الملك مروان بن علي الأسدي القطاني البوني(...) والحسن بن علي بن طريف التيهرتي"[2]، وكانت اللغة العربية هي اللسان الرسمي للدولة الحمادية مع أن رؤساءها برابرة لكونها لغة القرآن والدين،شرفوها واجتهدوا في نشرها"[3].

الأدب والأدباء :

عرفت الجزائر في هذه الفترة أدباء كثيرين ذوي عارضة في الأدب.والأدب تقدم تقدما محسوسا من حيث الكم وأما من جهة الكيف فظل يتسم بسمات المدرسة الشرقية المحافظةفي معالجة الشعر من حيث الموضوعات التقليدية فهو يتناول المدح والهجاء والرثاء والوصف والغزل والزهد والوعظ.والتاريخ يثبت أن الجزائر كانت زاخرة بكتاب جادت أقلامهم بالمقالات العلمية والأدبية والخطب الدينية والسياسية والرسائل الرسميةالديوانية فكان

---

[1]–م ن، ص115.

[2]– م ن، ص117–118.

[3]– م ن، ص115.

الإنشاء في صدر هذا العصر يسير على النظام المعهود من الكلام المرسل ولكن لم يلبث أن ارتقى فتأنق الكتاب في إنشائهم شان المشارقة فمالوا إلى السجع والتزيين والتنميق وتقليب الجمل على المعنى الواحد ولكن على غير إفساد في الذوق وبدون أن تتغلب الصناعة على الفن"[1].

ليس من شك أن الشعراء قد مدحوا الحماديين في شتى المناسبات من أفراح واعياد ومواسم وانتصارات.ولكننا نتأسف كل الأسف لعدم حصولنا على أشعارهم الآن ونظن أننا لن نعثر عليها فيما بعد لأن كل المعالم التي تتصل بالعصر الحمادي الأول ضاعت فلم يتيسر العثور على مدائح أولئك الشعراء كما ضاعت الرسائل الديوانية على عهد هؤلاء الملوك لكثرة الاضطرابات والفتن التي وقعت في آخر سلطانهم،إلا أن هناك رجالا جزائريين عاشوا في الربوع التونسية قد وصل إلينا شيء من آثارهم الأدبية منهم' أبو الحسن علي بن أبي الرجال الشيباني"[2].

نماذج أدبية:

- علي بن أبي الرجال الشيباني التاهرتي:

قال بتيهرت مشتاقا إلى اهله:

ولي كبد مكلومة من فراقكم

أطمئنها صبرا على ما أجنت

تمنتكم شوقا إليكم وصبوة

عل الله أن يدني لها ما تمنت

---

[1]- محمد الطمار، المغرب الأوسط في ظلّ صنهاجة، ص118.

[2]- م ن، ص119.

وعيني جفاها النوم واعتادها البكا

إذا عن ذكر القيروان استهلت

لابن أبي الرجال في الراح والساقي:

باكر الراح ودع عنك العذل

واسعَ في الصحة من قبل العلل

واغتنم لذة يوم عاجل

فالمنايا ضاحكات بالأمل

ماترى الساقي كشمس طلعت

تحمل المريخ في برج الحمل

مائسا كالغصن في دعص نقا

فاتن المقلة زينت بالكحل

وقال ابن أبي الرجال في الغزل:

عراء واضحة ينوس بقرطها

جيد حكى جيد الغزال الأعتق

صدت فأغرقت بالسجوم مدامعي

والعين تذرف بالدموع السبق

تشكو البعاد إذا بعدت تصبرا

وإن ارتجعت إلى الزيارة تفرق

ولقد يبيت أخو المودة لائمي

في حبها لون الشفيق المشفق

حتى إذا طلعت فأبصر شخصها

أخزى جهالة لائمي المستحمق

كم قطعت بوصلها من ليلة

وبشرب صافية كلون الزئبق

يسعى بها كالبدر ليلةَ تمّه

سحّار ألحاظ رخيم المنطق

آليت اترك ذا وتلك وهذه

حتى يفارقني سواد المنطق

-الحسن بن رشيق المسيلي المشهور بابن رشيق القيرواني(390-463هـ):-

هو أبو علي الحسن بن رشيق الشاعر الناقد ولد سنة 390هـ بالمسيلة حيث كان أبوه يحترف صياغة الذهب وقد اشتغل الحسن في حرفة أبيه ولكنه نزع منذ صغره إلى الأدب ولم يقنع بما قرأه في بلده فنزح إلى القيروان وعمره ست عشرة سنة"[1]،صاحب كتاب 'العمدة'

[1]- محمد الطمار، المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، ص122.

في النقد،ولد في المحمدي واو المسيلة في سنة 390هـ(...)توفي في مازر بعد سنة 456هـ، والغالب في سنة 453هـ"[1].

ومن شيوخه أبوعبد الله محمد بن جعفر القزاز القيرواني إمام اللغة بلا منازع صاحب الجامع في اللغة(...) الشيخ أبو عبد الله محمد بن إبراهيم(..) القاضي أبو الفضل جعفر بن احمد"[2] يعتبر ابن رشيق من أكبر أدباء عصره وأشهر بلغاء مصره فهو شاعر وكاتب وناقد بل يعتبر أول واضع لفن النقد الأدبي بكتابيه' العمدة في صناعةالشعر ونقده' و' قراضة الذهب في نقد أشعار العرب' اللذين يدلان على سعة اطلاعه على كلام العرب وعلى تبحره في نقد الشعر وتبيين عيوبه "[3].

قال معارضا أبا الطيب المتنبي:

ويوم كليل العاشقين كمنته

أراقب فيه الشمس أيان تغرب

وعيني إلى أذني أغر كأنه

من الليل باق بين عينيه كوكب

له فضلة عن جسمه في إهابه

تجيء على صدر رحيب وتذهب

شققت به الظلماء وأدني عنانه

فيطغى وأرخيه مرارا فيلعب

---

[1]– عبد الرحمن باغي، ديوان ابن رشيق القيرواني، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1989، ص09.

[2]– عبد العزيز الراجكوتي، ابن رشيق، المطبعة السلفيّة، القاهرة، 1343 هـ، ص73.

[3]– الغوثي، إرشاد الحائر إلى أثار أدباء الجزائر، ص133.

وأصرع أي الوحش قفيته به

وانزل عنه مثله حين أركب

وما الخيل إلا كالصديق قليلة

وإن كثرت في عين من لا يجرب

إذا لم تشاهد غير حسن شياتها

وأعضائها فالحسن عنك مغيّب

وقال في وصف الفرَس[1]:

وذيال له رجل طحون

لما نزلت به ويد زجوج

يطير بأربع لا عيب فيها

لظهران الصفا منها عجيج

خرجت به من الأوهام سبقا

وقل له عن الوهم الخروج

وفي وصف الشتاء[2]

خليليّ هل للمزن مقلة عاشق

أم النار في أحشائها وهي لا تدري

---

[1]– عبد الرحمن باغي، ديوان ابن رشيق، ص46.

[2]– عبد الرحمن باغي، ديوان ابن رشيق، ص71.

سحاب حكت ثكلى أصيب وحيدها

فعاجت له نحو الرياض على قبر

ترقرق دمعها في خدود توشحت

مطارفها بالبرق طرزا من التبر

فوشي بلا رقم ونسج بلا يد

ودمع بلا عين وضحك بلا ثغر

ويرثي القيروان وسائر المدن العربية:

كم كان فيها من كرام سادة

بيض الوجوه شوامخ الإيمان

متعاونين على الديانة والتقى

لله في الأسرار والإعلان

ومهذب جم الفضائل باذل

لنواله ولعرضه صوان

وأئمة جمعوا العلوم وهذبوا

سنن الحديث ومشكل القرآن

علماء إن ساءلتهم كشفوا العمى

بفقاهة وفصاحة وبيان

حتى إذا الأقدار حمّ وقوعها

ودنا القضاء لمدة وأوان

أهدت لها فتنا كليل مظلم

وأرادها كالناطح العيدان

بأصابع من دافع وأشالب

ممن تجمع من بني دهمان

فتكوا بأمة أحمد أتراهم

أمنوا عقاب الله في رمضان

نقضوا العقود المبرمات وأخفروا

ذمم الإله ولم يفوا بضمان.

-عبد الكريم النهشلي المسيلي(390-463هـ):

هو عبد الكريم بن إبراهيم النهشلي ولد ونشأ بالمحمدية- المسيلة -وبها تلقى مبادئ العلوم العربية ثم انتقل إلى القيروان لإتمام معلوماته فنبغ في جميع العلوم وخصوصا في الأدب والنقد فاتخذه تميم بن المعز بن باديس كاتبا له(...)كان شاعرا قويا وناقدا بصيرا بأساليب النقد ومناهجه وهو الذي هيا لابن رشيق وغيرة السبيل للمضي فيه"[1].

كانت هناك شخصية تعاصر ابن رشيق وكان خطرها كبيرا في الأدب تلك الشخصية تتمثل في عبد الكريم بن إبراهيم النهشلي ،ولد عبد الكريم بالمحمدية التي نسميها اليوم المسيلة من

[1]- الغوثي، إرشاد الحائر إلى أثار أدباء الجزائر، ص123.

مقاطعة الزاب الجزائرية.تلقى دراسته الأولى في تلك البلدة،ثم ارتحل إلى القيروان حيث اكتمل ثقافته الواسعة في علم اللسان والأوزان وأصبح بعد حين كاتبا حاذقا وشاعرا بارعا وذا مكانة واسعة في النقد"

النهشلي يرثي ' عيسى بن خلف':

منايا سددت الطرق عنها ولم تدع

لها من ثنايا شاهق متطلعا

فلما رأت صور المهابة دونها

عليك ولما لم تجد فيك مطمعا

ترقب بأسباب لطاف ولم تكد

تواجه موفور الجلالة أروعا

فجاءتك في سر الدواء خفيفة

على حين لم تخدر لداء توقعا

-ابن قاضي ميلة(أبو محمد عبد الله بن محمد التنوخي):

أحد شعراء المائة الخامس ومن شعراء الذخيرة ورايات المبرزين،وكان يسلك طريق ابن أبي ربيعة وأصحابه في نظم الأقوال والحكايات،وميلة التي نسب إليها هي بالكسرة مدينة صغيرة بينها وبين بجاية ثلاثة أيام"[1].

[1]- ياقوت الحموي معجم الأدباء، ترجمة مرجليوث، مشورات لجنة تذكار، لندن، 1907-1929، بإشراف: أحمد الرفاعي، دار الرفاعي، القاهرة، 1355-1357، ص50.

وهو ممن طرأ ذكره و انتهى إلي شعره، إذ ضرب في الأدب بأعلى قدح وافتر عنه على أوضح صبح، وأقام دوحه على سوقه، وبنى المنازل على سواء طريقه(...) ولأبي عبد الله أشعار شاردة سارت على ألسنة الأنام، وكتبت في جبهات الأيام"[1].

كما ذكره ابن سلام في ذخيرته والعمري في مسالكه وابن خلكان في وفياته وابن رشيق هو الآخر أثنى عليه في عمدته فقال: شاعر لسن مقدر يؤثر الاستعارة ويكثر الزجر والعيافة ويسلك طريق ابن أبي ربيعة وأصحابه في نظام الأقوال والحكايات"[2].

من شعره:

قلت للحسناء لما أبصرت

دمع عيني قد جرى فيم جرى

لاتظني الدمع ما عاينته

أنا من يهدي إليك الخبرا

تأخذ الأجفان منها ريّها

فإذا جاز التباهي قطرا"[3].

المحاضرة السابعة:

الأدب الجزائري في عهد الدولة الحمادية

---

[1]– أبو الحسن علي بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ص535.

[2]- محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، ص133.

[3]–ابن دحية، المطرب من أشعار أهل المغرب، تحقيق إبراهيم الأبياري وآخرين، مراجعة طه حسين، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1955، ص50.

قيام الدولة الحمادية:

يعتبر التاريخ الرسمي والعملي لقيام الدولة الحمادية هو عام 408هـ(1017م)، لكن الفترة الممتدة من سنة395 إلى 408هـ(1004-101-8م) كانت الفترة الحاسمة التي تمخض عنها قيام الدولة، ولقد استطاع حماد بوسائل متعددة في هذه الفترة ان يبرز نفسه، من خلال الأحداث كرجل جدير بقيادة دولة ينفرد بها وحده، وتكون لأبنائه من بعده(...) وعندما حانت الفرصة وكان ذلك سنة 395هـ(1004م) وبتأثير التحديات التي كان يقابلها الزيريون،استطاع أن يفرض شروط معاهدة تقضي بتأسيس دولة له ولبنيه"[1].

تعد دولة حماد وأبنائه في القلعة اول دولة جزائرية في العصور الإسلامية بادق معنى الكلمة(...) كانت دولة بربرية بحتة، وأيضا فإنها اتخذت العربية لسانها، ولغة رسمية لها"[2].

سقوط الدولة الحمادية:

"منذ اليوم الأول الذي استقلت فيه الدولة الحمادية عن الزيريين وهي تواجه بتحديات خطيرة توجب عليها استعدادا شديدين، ولقد واجهت الدولة عديدا من القوي التي كانت تعتقد أن امتدادها الطبيعي هو أرض الدولة الحمادية"[3].

الحياة الثقافية:

لقد كان الطابع الثقافي بدا يغلب على الثقافة منذ مطلع القرن الرابع وقد ساعد على ذلك أن الثقافة العربية جزء من الإسلام الذي هو عقيدة الأمة وأن تاريخ الأمة منذ أربعة قرون هو

---

[1]- عبد الحليم عويس، دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، دار الصحوة للنشر والتوزيع، ط2، القاهرة، 1991، ص49.

[2]- شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، ص35.

[3]- عبد الحليم عويس، دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، ص196.

تاريخ هذه الثقافة،وان المغرب محاط من كل جوانبه بثقافات عربية، إن في الأندلس أو في المشرق مما يجعلنا نطمئن إلى أن الثقافة العربية الإسلامية ي الثقافة الأم في لدولة الحمادية"[1].

الأدب واللغة:

تصدرت علوم الأدب واللغة مجالات النشاط العقلي عند الحماديين، وكان الأدب –نثرا وشعرا– مناط عناية واحترام كل الطبقات،وقد اشتغلوا جميعا به:الملوك والوزراء ورجال الدولة والعلماء(...) وقدمت الجزائر الحمادية مجموعة كبيرة من الكتاب والشعراء واللغويين وأسهمت في تفتيق مواهب وفدت إليها واستظلت بظلها ،فمن أدبائها أبو عبد الله الكاتب محمد الكاتب المعروف بابن دفرير، أحد كتاب الدولة الحمادية على عهد يحيى،...ومنهم أبو القاسم عبد الرحمن الكاتب المعروف بابن القالمي..وعلي بن الزيتوني الشاعر" [2].

–الترسل(أبوعبد الله الكاتب عن يحيى):–

" كتابنا ونحن نحمد الله على ما شاء وسر،رضى بالقسم وتسليما بالقدر،وتعويلا على جزائه الذي يجزي به من شكر،ونصلي على النبي محمد خير البشر،وعلى آله وصحبه مالاح نجم بسحر،وبعد فإنه لما أراد الله أن يقع ماوقع،لقبح آثار من خان دولتنا وضبع،استفز أهل موالاتنا الشنآن،وأغرى من اصطنعناه وأنعمنا عليه الكفران،فأتوا من حيث لا يحذرون،ورموا من حيث لاينصرون"[3].

عبد الرحمن بن العالمي:

---

[1]– عبد الحليم عويس، دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، ص249.

[2]– م ن، ص265–266.

[3]– عماد الدين الأصبهاني الكاتب، خريدة القصر وجريدة العصر، قسم شعراء المغرب، تحقيق محمد المرزوقي وآخرون، النشرة الثالثة، الدار التونسيّة للنّشر، 1986، ص180.

هوأبو القاسم عبد الرحمن المعروف بابن العالمي وهو أديب من الكتّاب البلغاء لا نعلم عن حياة هذا الأديب شيئا سوى أنه كان من كتاب الدولة الحمادية المنصرفين إلى الكتابة السلطانية"[1].

نموذج من رسائله:

"ولما كنت في مضمار سلفك جارياولنا مواليا وفي قضاء طاعتنا متباهيا رأينا أن نثبت مبانيك ونؤكد أواخيكونوجب لك ولخلفك ما أوجبه سلفنا لسلفك تمييزا لهم عن الأكفاء ومجاراة لهم على محض الصفاء والولاء فاستدم هذه النعمة العظيم خطرها بالشكر فأنت جدير" ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا أن الله غفور شكور"[2].

-**أبو عبد الله المعروف بابن دفرير:**هو أبو عبد الله محمد المعروف بابن دفرير وهو أديب من الكتاب البلغاء،كان من كتاب الدولة الحمادية المنصرفين في الكتابة السلطانية"[3].

نموذج من رسائله:

"كتابنا ونحن نحمد الله على ما شاء وسر رضا بالقسم وتسليما لقدر وتعويلا على جزائه الذي يجزي به من شكرونصلي على النبي محمد خير البشر وعلى آله وصحبه مالاح نجم بسحر وبعد فإنه لما أراد الله ان يقع ما وقع لقبح آثار من خان في دولتنا ضبع استفز اهل ولاتنا الشنآن وأغرى من اصطنعناه وأنعمنا عليه الكفران فأتوا من حيث لا يحذرون ورموا من حيث لا ينصرون فكنا في الاستعانة بهم والتعويل عليهم كمن يستشفي من داء بداء ويفر من صلّ خبيث إلى حية صماء حتى بغث مكرهم وأعجل عن التلافي أمرهم ويرد وبال أمرهم إليهم فعند ذلك اعتزلنا محلة الفتنة وملنا إلى مظنة الأمنة وبعثنا في أحياء هلال

---

[1]- الغوثي، إرشاد الحائر إلى أدباء الجزائر، ص156.

[2]- عماد الدين الأصبهاني، خريدة القصر وجريدة العصر، ص179-180.

[3]- الغوثي، إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر، ص157.

نستنجد منهم أهل النجدة ونستنفر من كنا نراه للمهم عدة وانتم في هذا الأمر أول من يليهم الخاطر وتثنى عليه الخناصر"[1].

-أبو بكر الداني المعروف بابن اللبانة نزيل بجاية(507هـ)

هو أبو بكر محمد بن عيسى بن محمد اللخمي لأندلسي المعروف بابن اللبانة من اهل مدينة دانية كان ينظم الشعر معتمدا في اكثره على جودة طبعه وقوة قريحته وقد اتخذه بضاعة ورضيه مكسبا فقصد به الملوك فأخذ جوائزهم ونال أعلى المراتب عندهم(...)إن ابن اللبانة من جلة الادباء ومن فحول الشعراء له شعر نبيل المأخذ جمع فيه بين سهولة الألفاظ ورشاقتها وجودة المعاني ولطافتها وقد خلف من الكتب' سقيط الدرر ولقيط الزهر' في شعر بني عباد و' نظم السلوك في وعظ لملوك' و'مناقل الفتنة والاعتماد في أخبار بني عباد"[2].

نماذج من شعره:

شق النسيم كمامه

عن زاهر يتبسم

فلا تطع لملامه

واشرب على الزير والبم

حيا النسيم بمندل

عن طيب زهر أنيق

ونرجس الروض تخجل

---

[1]- الأصبهاني، خريدة القصر وجريدة العصر، ص180.

[2]- الغوثي، إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر، ص159.

منه خدود الشقيق

فانهض إلى لدن واقبل

منه سؤال الرحيق

وفض منه ختامه

عن مثل مسك مختم

تكاد منه المدامة

للشرب ان تتكلم

حاكت على النهر درعا

ريح الصبا في الأصايل

فاسمع من العود سجعا

تشق منه الغلايل

-يوسف بن النحوي البسكري نزيل قلعة بني حماد(453- 513هـ)

هو أبو الفضل يوسف بن محمد بن يوسف المعروف بابن النحوي أصله من بسكرة إلا أن أبويه انتقلا إلى توزر وبها ولد ونشأ ثم ارتحل إلى المغرب الأوسط واستقر بقلعة بني حماد بعد ان زار المغرب الأقصى وكان من أهل العلم والفضل شديد الخوف من الله لا يأكل إلا من مال له كان يأتيه من توزر وتوفي بقلعة بني حماد،كان ابن النحوي بالمغرب كالغزالي بالمشرق علما وعملا وغالب شعره في التضرع والابتهال" [1].

[1]- الغوثي، إرشاد الحائر، إلىآثار أدباء الجزائر، ص167.

نموذج شعري لابن النحوي(قصيدة المنفرجة)

اشتدي أزمة تنفرجي

قد آذن ليلك بالبلج

وظلام الليل له سرج

حتى يغشاه أبو السرج

وسحاب الخير لها مطر

فإذا جاء الإبان تجي

حكم نسجت بيد حكمت

ثم انتسجت بالمنتسج

فإذا اقتصدت ثم انعرجت

فبمقتصد ومنعرج

شهدت لعجائبها حجج

قامت بالأمر على الحجج

ورضى بقضاء الله حجى

فعلى مركوزته فعج

-عبد الجبار بن حميدس الصقلي(446-527 هـ)

هو أبو الفضل محمد عبد الجبار بن أبي بكر بن محمد بن حميدس الأزدي الصقلي نولد بمدينة سرقوسة من جزيرة صقلية ونشأ بها وعرف منذ حداثته بمعالجة القريض لكنه ظل مجهول الذكر إلى ان استولى النرمنديون على وطنه فغادر إلى الأندلس عام 471هـ بعد أن مر بالمغرب من أدناه إلى اقصاه(...)لابن حميدس ديوان شعر ضخم يتضمن قصائد غراء وهو كما قال عنه ابن بسام:'شاعر ماهر يقرطس أغراض المعاني البديعة ويعبر عنها بالألفاظ النفيسة الرفيعة ويتصرف في التشبيه المصيب ويغوص بحر الكلام على در المعنى الغريب' وهو في الوصف بليغ مبلغ الإجادة والإبداع من حيث إتقان الصورة وعذوبة الموسيقى كما له الغزل الرقيق والرثاء العاطفي الصادق مع إجادة المدح وبذل النصيحة وإرسال الحكمة،قد اعتنى المستشرقون الإيطاليون بشعر ابن حميدس فجمعوه في ديوان طبع في بلرمة سنة 1873 وفي رومة سنة 1897م إلا أن أتم ديوان له هو ما نشره الأستاذ إحسان عباس ببيروت سنة 1960م" [1].

-ابن حميدس يصف قصرا ملكيا ببجاية:

اعمر بقصر الملك ناديك الذي

أضحى بمجدك بيته معمورا

قصر لو انك كحلت بنوره

أعمى لعاد إلى المقام بصيرا

واشتق من معنى الحياة نسيمه

فيكاد يحدث للعظام نشورا

نسي الصبيح مع الفصيح بذكره

---

[1]- الغوثي، إرشاد الحائر إلى أدباء الجزائر، ص177.

وسما ففاق خورنقا وسديرا

ولو ان بالإيوان قوبل حسنه

ماكان شيئا عنده مذكورا

أعيت مصانعه على الفرس الأرلي

رفعوا البناء وأحكموا التدبيرا

ومضت على الروم الدهور وما بنوا

لملوكهم شبها له ونظيرا

أذكرتنا الفردوس حين أريتنا

غرفا رفعت بناءها وقصورا

فالمحسنون تزيدوا اعمالهم

ورجوا بذلك جنة وحريرا

والمذنبون هذوا الصراط وكفرت

حسناتهم لذنوبهم تكفيرا

فلك من الأفلاك إلا انه

حقر البدور فأطلع المنصورا

أبصرته فرأيت أبدع منظر

ثم انثنيت بناظري محسورا

فظننت أني حالم في جنة

لما رأيت الملك فيه كبيرا

وإذا الولائد فتحت أبوابه

جعلت ترحب بالعفاة صريرا

عضت على حلقاتهن ضراغم

فغرت بها أفواهها تكبيرا

فكأنها لبدت لتهصر عندها

من لم يكن بدخولها مأمورا

تجري الخواطر مطلقات أعنة

فيه فتكبو عن مداه قصورا

بمرخم الساحات تحسب انه

فرش المها وتوشح الكافورا

ومحصب بالدر تحسب تربه

مسكا تضوع نشره وعبيرا

تستخلف الأبصار منه إذا أتى

صبحا على غسق الظلام منيرا

-محمد بن عبد الله القلعي الأصم:

هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن زكريا القلعي الأصم،هجر وطنه فدخل الإسكندرية ومصر وأقام بها زمانا في الفقر والبؤس ثم رجع إلى المغرب وسار إليها راجلا إلى ان وصل إلى طرابلس الغرب فنزل بها على بني الأشقر فمدحهم وأحسنوا صلته "[1].

ترى فاض شؤبوب من الودق ساجم

وأومض مشبوب من البرق جاحم

وماذا الندى والوقت بالصيف حائم

وماذا السنا والجو بالليل فاحم

وماهذه مزن وماذا بوارق

ولكنها إيمانكم والصوارم

بني الأشقر استعلوا حقا على الورى

كما لم يزل فوق الكعوب اللهاذم

مشيتم إلى العليا وطار سواكم

فلم تبلغ الأقدام فيها القوادم

وأوقع من تلقاه من طار للعلا

إذا لم يكن ريش الجناح المكارم

[1]– الغوثي، إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر، ص204.

المحاضرة الثامنة:

الأدب الجزائري في عهد الدولة المرابطيّة

448-541هـ/1056-1147م

المرابطون أتباع دعوة دينية سياسية ظهرت ونمت فيمنتصف القرن الخامس الهجري، الحادي عشر الميلادي، بين قبائل الملثمين من صنهاجة،وكانت قبيلة لمتونة الصنهاجية

عمادها، ومالبثت أن تحوّلت إلى دولة سيطرت علىالمغرب الأقصى وجزء من المغرب الأوسط إضافة إلى الأندلس.نزلت القبائل الصنهاجية التي كانت عماد حركةالمرابطين في الصحراء وعلى تخومها بين جنوب المغرب الأقصى شمالاً ومنعطف النيجر والسنغال جنوباً والمحيط الأطلسي غرباً، وتتميز هذه القبائل من غيرها باستخداماللثام الذي يعرف به كل فرد من أفرادها، وهم أجداد الطوارق الذين مازالوا قائمين في العصر الحديث بالصحراء الجزائرية، ولعل أشهر قبائل الملثمين هذه لمتونة سيدة الأدرارفي موريتانيا ومسوفة وجدّالة اللتان تسودان المنطقة شمالي نهر النيجر.

انتشر الإسلام بين هذه القبائل عن طريق السرايا العسكريةالتي أرسلها حكام المغرب الأوائل إلى هذه المنطقة، وعن طريق التجار المسلمين الذينكانوا يمرون عبر هذه البلاد في طريقهم إلى السودان، وعلى الرغم من ذلك ظلت هذهالقبائل ضعيفة الإسلام، متفرقة الكلمة حتى أوائل القرن الخامس الهجري عندما حدثتفيها تلك الانتفاضة الدينية الإصلاحية التي ألفت بين قلوبهم ووحدت صفوفهم على أسس دينية وأخلاقية صحيحة... يرجع الفضل في تحقيق هذه الوحدة السياسية الدينية إلى زعيم سياسي هو يحيى بن إبراهيم الجدّالي، وإلى زعيم ديني هو الفقيه المالكي عبد الله بن ياسين الجزولي، وكلا الرجلين من أصل صنهاجي، وبداية الحركة ترجع إلى يحيى بن إبراهيم الجدّالي الذي عزّ عليه أن يرى نفسه وقومه في حالة من الجهل والتأخر فترك بلاده وأخذ يطوف بالمراكز الثقافية بالمغرب العربي، لعله يجد فيها من يتولى هداية قومه وإصلاحهم، وفي مدينة القيروان اتصل يحيى بن إبراهيم بأحد أقطاب المالكية وهو الفقيه أبو عمران الفاسي، وعرفه وضع الناس في بلاده وكون إسلامهم يقتصر على الشهادتين مع رغبتهم في التفقه، ولكن انعزالهم يحول دون تحقيق هذه الرغبة، وسأله أن يوفد معه أحد تلامذته للقيام بهذه المهمة، فحمّله أبو عمران رسالة إلى واجاح بن زللو اللمطي أحد تلامذته القدماء وكان قد أصبح فقيهاً مرموقاً في بلاد نفيس بالمغرب الأقصى، وعلى مقربة من الصحراء عثر يحيى بن إبراهيم عند هذا الأخير على ضالته المنشودة متمثلة بشخص عبد الله بن ياسين الذي قبل التصدّي لهذه المهمة وعمره لايزيد على خمسة وعشرين عاماً.

حلعبد الله بن ياسين عند وصوله الصحراء في صفوفقبيلة جدّالة وسرعان ما ارتقى إلى مرتبة رئيس جماعة دينية كان له فيها الرأيوالمشورة والإفتاء والإشراف على بيت المال، ولكن هذا الارتقاء السريع أعقبه سقوطمماثل، إذ لم يمض على وصوله أكثر من ثلاث سنوات حتى نشب الخلاف بينه وبين فقهاء جدّالة،فعزلوه عن الرأي والمشورة وقبضوا منه بيت مالهم وطردوه، فقرّر التوجه إلى السودان،فتمسك به الزعيم يحيى بن إبراهيم وعرض عليه البقاء معه ونصرته، والإقامة في رباطمنعزل عن الناس ورزقهم الحرام.

هناك خلاف في تحديد مكان هذا الرباط؛ إذ يفهممما يرد في روض القرطاس لابن أبي زرع وفي أعمال الأعلام لابن الخطيب، أنه بجزيرةبحرية في المحيط، ويفترض دارسون محدثون أن تكون الجزيرة حيث بُني الرباط جزيرة تيدرا الواقعة على بعد 500كم من مصب نهر السنغال أو في أرغوين الواقعة إلى الشمال منها بين خليج لوفرييه Levrier ورأس تيميريس، في حين يتبع دارسون آخرون قول ابن خلدون

لم يكن بناء هذا الرباط عملاً فريداً من نوعه أوجديداً في شيء؛ لأن شواطئ المغرب والأندلس كانت تعج بالأربطة منذ زمن طويل قبلبنائه، واستمرت إقامتها فيما بعد أيضاً، وكلها تتسم بالصفة نفسها فهي حصن ومكانعبادة بآن واحد، ينصرف المقيمون فيها إلى التعبد وتطهير النفس من جهة، والجهاد منجهة ثانية، لكن الجديد والمميز لرباط عبد الله بن ياسين ويحيى بن إبراهيم يكمنفيما تمخض عنه هذا الرباط حيث أضحى نواة لتلك الامبراطورية الواسعة التي ستمتد منحوض النيجر والسنغال في أواسط إفريقية إلى ضفاف التاجه وإبرو في الأندلس وأضحى اسمالمرابطين علماً لتلك الدولة الكبيرة.

سلك عبد الله بن ياسين أول الأمر طريق الدعوةالسلمية في استجلاب الأتباع إلى رباطه حيث يعلمهم القيام بالعبادات ويفقههم فيشؤون دينهم، وعندما أصبح عددهم يكفي للقيام بفريضة الجهاد لجأ إلى الحرب ضد تلكالقبائل التي لم يكن لها من الإسلام إلا الاسم حسب اعتقاده، مبتدئاً بجدالة التيأخرجته من بين ظهرانيها فغزاها وأخضعها سنة 434هـ ثم هاجم لمتونة وبعدها مسوفة، وبذلكأخضع قبائل الملثمين الكبرى، مما جعل القبائل الأخرى وكلها أقل عدداً وأضعف قوةتعلن طاعتها له.

كان من مظاهر تنظيم هذه الدولة البسيطة القائمة على أساس الشريعة وجود بيت مال تجمع فيه الصدقات والعشور والأخماس الواردة من غنائم الحرب، وكان عبد الله بن ياسين يجعل أسلاب القتلى فيئاً للمرابطين، أما الغنائم الأخرى فيوزع عليهم منها حصتهم البالغة أربعة أخماس 5/4 كما يخرج من بيت المال هذا مصروفات لشراء السلاح وتجهيز الدعوة بما يلزمها من مال، ويبعث قسماً من واردات بيت المال إلى طلبة العلم والفقهاء في البلدان المجاورة تهيئة لنشر الدعوة خارج الصحراء. ومن مظاهر هذا التنظيم وجود قيادة مزدوجة، يمثل الجانب الروحي فيها عبد الله بن ياسين، والجانب العسكري يحيى بن إبراهيم، الذي حل محله إثر وفاته يحيى بن عمر اللمتوني. لعل أهم ما يميز النظام الجديد بين قبائل صنهاجة الملثمة عن حلفهم القديم في القرن الثالث الهجري وجود عقيدة يُعتمد عليها ويدعى لها وتحتوي على التشريع التنظيمي للحياة الدينية إلى جانب التشريع للأمور الدنيوية.

كان عبد الله بن ياسين المرجع لهم في شؤونالعقيدة، وظلت فتاواه مجموعة لدى المرابطين حتى آخر أيام دولتهم، وبما أنه لم يكنأكثر من فقيه مالكي فإنه لم يكن فيما قدمه شيء جديد أو فكر يبلور مذهباً خاصاًللفكر الإسلامي، ولكنه كان يقدم جديداً للملثمين الذين لم يكونوا يفقهون شيئاً مندينهم وبقي سلوكهم مستمداً من عاداتهم البدوية القديمة التي يشيع فيها القتلوالسلب؛ لأن حياتهم تكاد تكون حرباً دائمة سواء أكان بين القبائل أم مع السودان أمفي الغارات على القوافل. وفي مثل هذا المجتمع يقل الرجال كثيراً بسبب الحروب،ويكثر السبي مما جعل تعدد الزوجات يصل إلى حدود تخالف الشرع، فقد بلغ عدد زوجاتبعضهم عشرة، فأمرهم عبد الله بالاقتصار على أربع نسوة، وفي هذا المجال بالذات يبدوتجديد عبد الله بن ياسين في إصراره على التمسك بأوامر الدين ونواهيه.

كان اتجاه توسع قبائل الملثمين الصنهاجية نحوالجنوب، ولم يتغير اتجاهها إلا في زمن الدعوة المرابطية عندما تحولت أنظار هذهالقبائل نحو الشمال، وتوسعت باتجاهه حتى وصلت إلى المتوسط وتجاوزته عند مضيق جبلطارق لتصل إلى أواسط إسبانيا، وقد تمّ ذلك بسلسلة من العمليات وبخطوات متلاحقة كلواحدة منها تدفع إلى ما بعدها، وقد تحمل في ثناياها سبباً أو أسباباً عديدة لها.

لعل أول خطواتهم على هذه الطريق كان إتمام ضمبقية القبائل الصنهاجية البدوية التي كانت مواطنها في جنوبي المغرب الأقصى إلىدعوتهم، ووصلهم ذلك بمنطقة الواحات التي تحف بالصحراء من الشمال. وفيها كل ما يطمعإليه البدوي الصحراوي من خصب ومياه. وتلا ذلك الخطوة التالية المتمثلة بالاندفاعنحو الواحات والتي تمت في وقت أصاب فيه الجفاف والقحط المنطقة، ولكن التقدم نحوالشمال لم ينته بانتهاء المجاعة، بل استمر تقدم المرابطين نحو الشمال في المغربالأقصى، ويبدو أن الدافع هنا يعود إلى احتكاكهم بالزناتيين أعداء صنهاجةالتقليديين من جهة، كما أنهم أضحوا يسيطرون على مناطق حضارية عريقة، ويرى لاشابلأن النزاع بين صنهاجة والزناتيين الحاكمين في المغرب الأقصى ناجم عن محاولةالمرابطين انتزاع السيطرة على الخط التجاري من الصحراء حتى الأندلس من يد الزناتيين.

كانت سجلماسة أشهر الواحات في شمالي الصحراء،وبوابتها الرئيسة من ناحية المغرب ومايليه، فهاجم المرابطون سجلماسة وخرج إليهمصاحبها الأمير المغراوي الذي قُتل في المعركة التي جرت سنة 447هـ/1055م، بعد هذاالانتصار دخل المرابطون سجلماسة فأزالوا المنكرات وطبقوا فيها مبادئهم، وكانلاحتلالهم نتائج ذات أهمية؛ فالمدينة بوابة تجارة الصحراء، وهذا ما فسح مجالاًللمرابطين للإشراف عليها، كذلك كانت المدينة مركزاً لتأجير الجمال الضرورية لقطعالمسافات، لذا غنم المرابطون أعداداً كبيرة منها تبالغ الرواية فتجعلها خمسين ألفجمل تخص أميرها المغراوي، وأسهمت هذه الغنيمة في تزويد المرابطين بإمكانات تجهيزأعداد كبيرة من الجند لقطع الصحراء، وهذا ما يفسر سرعتهم في احتلال بوابة الصحراءالثانية من الطرف الجنوبي وهي أودغست واستخلاصها من السودان، ولأن المغراوييننعادوا إلى سجلماسة بعد أقل من سنتين فقد اضطر عبد الله بن ياسين ويحيى بن عمر إلىالسير ضدهم، وفي القتال الذي جرى معهم قتل الزعيم يحيى بن عمر.

قَدَّم عبد الله بن ياسين بعد وفاة يحيى بن عمرأخاه أبا بكر بن عمر، قائداً حربياً للمرابطين، وبقي عبد الله في مكانته الأولى،وإذا كان يحيى بن عمر بطل الصحراء كلها مع الواحات للمرابطين، فإن أخاه أبا بكرأضحى بطل ضم المغرب الأقصى إلى الدولة المرابطية، وشاركه في ذلك منذ البداية ابنعمه يوسف بن تاشفين[ر] الذي وضعه على مقدمة قواته، وأتمّ

عمله بعد وفاته في ضمالمغرب الأقصى والأوسط والأندلس وأضحى بذلك مؤسس الامبراطوية المرابطية.

في سنة 463هـ/1071م ارتحل أبو بكر إلى الصحراءلتمرد قبائل مسوفه، وعهد إلى ابن عمه يوسف بن تاشفين بحكم المغرب، بقي يوسف نائباً لابن عمه أبي بكر في حكم المغرب مدة سنتين، قام في أثنائها بإعطاء سلطة المرابطين صبغة الملك والسلطان، فقد انتقل من أغمات قاعدة المرابطين الأولى إلى قاعدة جديدة بناها هي مراكش الواقعة في السهل وعلى بعد 20 ميلاً من جبال الأطلس، وهو بعد مناسب لأنه يسمح بمراقبة قبائل المصامدة التي لم يكن خضوعها مضموناً، وفي الوقت نفسه يأمن مفاجآتهم، وأخيراً فهي في موقع متوسط بين البحر والصحراء، ومن مظاهر التنظيم الأخرى وأمارات السلطان ضرب الدراهم والدنانير باسم أبي بكر بن عمر، وتنظيمه للجيش، وكان أبو بكر قد ترك له قسماً من الجيش، فوزع 20 ألفاً من محاربي حركة المرابطين على قادتهم القبليين بحيث يرأس قادة كل من لمتونة ومسوفة وجدالة وتلكاتة خمسة آلاف مقاتل وأبقى 20 ألفاً تحت قيادته الشخصية، ثم أضاف لنفسه حرساً بشراء 2240 من العبيد السودان وعلوج الأندلس وجعلهم فرساناً كلهم.

في سنة 465هـ/1073 عاد أبو بكر من مهمته وحل بأغماتقاعدة المرابطين الأولى، وأدرك تعاظم سلطان ابن عمه يوسف بن تاشفين فنزل ليوسف عن حكم المغرب، وأبقى لنفسه حكم الصحراء حيث توفي في أثناء جهاد السودان سنة 480هـ، وانحل بموته الطابع الصحراوي لحركة المرابطين وتوسعها جنوباً لتصير مغربية تتوسع شمالاً.

تابع يوسف بن تاشفين توسعه في المغرب الأقصى، ثمفي المغرب الأوسط وتوقف عند شرقي الجزائر مما يوحي باحترامه لسيادة بني زيري الصنهاجيين أقربائه في النسب.

في الوقت الذي صار فيه المغرب يتمتع بوحدةسياسية ودينية في ظل دولة المرابطين التي تزعمها يوسف بن تاشفين، كانت الأندلستعاني التفكك السياسي والاجتماعي تحت حكم ملوك الطوائف، ولا شك في أن تاريخ بلاد العدوتين المغربية والأندلسية الذي هو وليد جغرافيتها يجعل الباحث يدرك أن هذه القوة الفتية الطموحة ما كانت لتقف وجهاً لوجه أمام الأندلس مكتوفة الأيدي عند هذا الحد الشمالي للمغرب ولاسيما بعد أن امتلك المرابطون ثغور المجاز المغربية مثل سبتة وطنجة ومليلة، وصار لا يفصلهم عن الأندلس سوى مضيق جبل طارق. وقد خدمت الظروف السياسية المرابطين

فجعلت الأندلس تحت ضغط الغزو الإسباني المسيحي هي السباقة في طلب المعونة من المغرب خصوصاً بعد أن استولى الملك الإسباني ألفونسو السادس على طليطلة سنة 478هـ/1085م، وقد روي في هذا الصدد أن المعتمد بن عباد ملك اشبيلية[ر] وأقوى ملوك الطوائف في ذلك الوقت، حينما عزم على الاستنجاد بالمرابطين قال جملته المشهورة إنه خير له أن يصبح راعي جمال في المغرب من أن يصبح راعي خنازير في قشتاله. وهذا التصريح يدل بوضوح على أن المعتمد كان يدرك تماماً أن ملكه ضائع سواء على يد المرابطين في الجنوب أم الإسبان في الشمال، لكنه كان يفضل سيادة المرابطين بطبيعة الحال.

أنجد يوسف بن تاشفين ملوك الطوائف وانتصر المرابطون في معركة الزلاقة الشهيرة[ر] سنة 479هـ، هذه المعركة التي كانت أول انتصار أو على الأقل أول نجاح من هذا النوع منذ أكثر من ثلاثة أرباع قرن، كما أنها أوقفت المد الإسباني الشمالي نحو الجنوب في مجالي ضم الأراضي أو فرض السيادة المعبر عنها بدفع الجزية، كذلك رفعت هذه المعركة من مكانة المعتمد بن عباد الذي تحمل وصمد للهجمة المعادية دون سائر الأندلسيين الآخرين، ولكن أعظم تألق كان من نصيب يوسف بن تاشفين والمرابطين؛ إذ بهم انتهت الهزائم وبدأت الانتصارات، وهذا ما جعل يوسف بن تاشفين يسلك سلوك أب للأندلسيين إذ جمعهم قبل مغادرته وأوصاهم بضرورة توحيد الكلمة لصد الأعداء، ولكنه عندما رأى أن ملوك الطوائف قد عادوا إلى سابق عهدهم من الخلاف

والاستنجاد بالأعداء قرر القضاء عليهم، ولجأ إلى ملاقاة ملوك الطوائف فرادى مستغلاً أطماعهم بأملاك بعضهم، ففي سنة 483هـ استولى على غرناطة ولم يضطر إلى التوقف أمام الحصون والمعاقل في طريقه إليها، لأنها سارعت إلى الاستسلام مستجيبة لدعوة المرابطين، ثم استولى على إشبيلية بعد استسلام المعتمد، وخضعت المرية بعد هرب صاحبها بحراً، ومنها توسع في شرقي الأندلس حتى وصل إلى حدود فلنسية.

تريث المرابطون بعد ذلك بشأن الثغور لوضعهاالخاص على حدود المسيحيين وخوفاً من وضع أصحابها أراضيهم في يد الأعداء، أو خشيةمن مجاورة هؤلاء المسيحيين قبل أن يتوطد حكمهم، وهكذا مضى ما يقرب من ثلاث سنواتقبل أن يقوم المرابطون باحتلال بطليوس أدنى هذه الثغور وأقربها إلى أراضيهم فيالمغرب.

بعد ضم يوسف بن تاشفين أملاك دول الطوائف، لميشتهر من أعماله أكثر من استعادة فلنسية من زوجة السيد الإسباني، والإجهاز علىدولة بني رزين أصحاب السهلة، لذا يمكن القول إن عهد يوسف بن تاشفين في الأندلس كانعهد رد المسيحيين الإسبان وتوطيد سلطان المرابطين فيها، لكن عهد علي بن يوسف يمثلعدة أدوار، ففي حكمه الذي استمر قرابة 37 سنة من سنة 500 - 537هـ/1106- 1142م وصل سلطان المرابطين بالأندلس إلى الذروة في السنوات العشر الأولى، حيث توطدت وتعاظمت دولتهم بما أحرزوه من انتصارات حتى أوشكوا على استرداد كل ما غنمه الإسبان في عهد ألفونسوالسادس، ثم تلتها فترة تكاد تماثلها في الطول، تأرجح فيها مصيرهم بتوالي الانتصارات والنكسات أمام دول الإسبان المسيحية، كما بدأت فيها نذر الخلاف مع السكان على النطاق الداخلي، وبعدها جاءت فترة النكبات وقيام الثورات في الأندلس وفي المغرب حيث قامت حركة الموحدين التي قضت على دولة المرابطين سنة 541هـ.

دور المرابطين في المجال الحضاري:

كان عبد الله بن ياسين مجرّد فقيه مالكي، ولميأت بشيء جديد اللهم إلا بتمسكه بتطبيق مبادئ الإسلام وحدوده، وقام عمل المرابطينكله في المجال الديني على تحقيق الوحدة المذهبية في المغرب الأقصى والقضاء نهائياًعلى الهرطقات التي كانت باقية فيه.

أما التغيير الثاني في المجال الحضاري أيامالمرابطين هو التغيير في مراكز الإشعاع الثقافي، فقد كانت مراكز الإشعاع سابقاً فيالأندلس والقيروان، وقد انهار مركز القيروان الكبير بخرابها، وعاش مركز الأندلس فيظروف صعبة آخر الأمر بسبب الهجوم الصليبي، وانتقلت هذه المراكز إلى مكان بعيد حولالبلاط في مراكش.

ومع أن حكم المرابطين كان حكم فقهاء . ومن المنتظرأن يتدهور في عهدهم النشاط الفلسفي والشعري، وتستمر نشاطات الدراسات الدينية . فإنالباحث يجد في عهد علي بن يوسف بعض الحكام المرابطين في الأندلس لا يختلفون عنملوك الطوائف في طربهم للشعر وفي أعطياتهم للشعراء.

أما العلوم العقلية فقد ازدهرت حتى في بلاط عليبن يوسف المشهور بميله إلى الفقهاء وتقريبه الزهاد، ففي بلاطه ارتقى كبير من كبارالأطباء في الجناح الغربي من ديار الإسلام وهو عبد الملك بن زهر[ر]، كما لقيتشخصية ابن باجّه[ر] الذي انصب عمله على الدراسات الفلسفية والرياضية والموسيقىالترحيب في بلاط حاكم المرابطين في سرقسطة الذي لم يكن يستطيع فراقه يوماً، ثماستخدم في الكتابة لدى المرابطين في فاس حيث توفي سنة 533هـ/1138م.

وإذا كان المغرب الأقصى خاصة مجال نفوذ للأمويينحكام الأندلس منذ القرن الرابع الهجري فإن الآية انعكست بمجيء الحكم المرابطي،فأضحت الأندلس تابعة سياسياً للمغرب، وذلك بعد تدخل يوسف بن تاشفين لحمايتها من الإسبانفي الشمال، ووضع بذلك تقليداً لكل الدول التي نشأت بعد ذلك في المغرب الأقصى والتيعدت حماية الإسلام في الأندلس اليتيمة . على حد تعبير أحدهم . رسالة لها ومهمةأساسية من مهماتها. أتاحت هذه السيطرة السياسية التمازج الحضاري بين القسمين وكانللأندلس المجال الأعلى في ميادين العلوم والآداب، وفي

ميدان الفنون أيضاً، إذ إنالمرابطين البدو لم تكن لهم تقاليد عمرانية سابقة، ويبدو أن روعة الأبنية الأندلسيةبهرت أنظارهم، فاستخدموا المعماريين الأندلسيين في أعمالهم العمرانية من أسواروجسور ومساجد، ويتضح امتداد الأساليب والنماذج المعمارية إلى الشمال الإفريقي منالآثار المعمارية التي تعود إلى عهد المرابطين كمسجد تلمسان، والزيادات التيأضافها علي ابن يوسف بن تاشفين في مسجد القرويين بفاس، والشيء الأساسي الذي بقي منالمسجد الجامع الذي بناه يوسف بن تاشفين في الجزائر.

لكن النصر في الميدان العسكري كان من نصيبالمغرب، يستنتج ذلك مما ذكره البكري عن طريقة المرابطين في الحرب، وما يذكره الطرطوشي المعاصر عن طريقة الأندلسيين في الحرب، مما يدل على أن خطة المرابطين في الحرب هي
التي سادت وعمت، وفي هذا المجال سار المرابطون في الاتجاه الذي بدأ منذ القرن الرابع الهجري نحو اقتباس الأندلسيين وسائل المغاربة وطرقها في القتال، فمنذ أيام الحكم المستنصر صار المغاربة قوة الحرب الرئيسة ويقول عنهم ابن حيان المؤرخ المعاصر لهم إنهم «حلّوا محل الملح في الطعام ببأسهم الشديد، وقاموا مقام الفولاذ في الحديد، لا يقاتل الأعداء إلا بهم، ولا تعمر الأرض إلا في جوارهم».

كانت دولة المرابطين من الدول التي عبّر زعماؤهاعن اعترافهم بالسيادة الروحية للخليفة العباسي بسك اسمه على النقود والدعاء له علىالمنابر، وبدأ ذلك منذ أيام أبي بكر بن عمر كما تشهد على ذلك النقود التي سكها، ثمسار يوسف بن تاشفين على سنته وطلب من الخليفة العباسي المستظهر بالله (487-512هـ)تقليده حكم المغرب، فجاءه التقليد واعترف الخليفة بلقبه «أمير المسلمين وناصرالدين» في الكتاب الذي وصله على ما يرجح في رجب سنة 491هـ حزيران/يونيو 1098م وقدعدّ الخليفة يوسف في كتابه أيضاً نائب الخليفة والقائم بدعوة أمير المؤمنين وقائدجيوشه في المغرب.(1)

جدول بأسماء أمراء المرابطين

يحيى بن إبراهيم الجدّالي

يحيى بن عمر (ت 448هـ/1056م)

أبو بكر بن عمر (ت 480هـ/1088م)

يوسف بن تاشفين (453-500هـ/1016-1107م)

علي بن يوسف بن تاشفين (500-537هـ/1107-1143م).

تاشفين بن علي (537 -540هـ/1143-1145م).

إبراهيم بن تاشفين (540 هـ/1145م).

إسحاق بن علي (540 -541هـ/1145-1146م).

أما دولة المرابطين فقد قامت على أسس مختلفة كل لاختلف، فقد قامت على أساس نشر مذهب الإمام مالك في صحراء المغرب، ومحاولة بعث القوى الإسلامية والعودة بالمجتمع الإسلامي إلى عهد السلف الصالح ورسمت لنفسها طريق الإصلاح واضحا جليا"[1].

" دولة المرابطين التي أقامت صرحها قبيلة صنهاجة الجنوب والتي لعبت في التاريخ الإسلامي دورا رائعا، ونشرت الإسلام في السودان الغربي وبثت الثقافة الإسلامية في الشعوب الزنجية،ثم توسعت صوب الشمال فاقتحمت ميدان المغرب والأندلس"[2].

من أدباء الفترة المرابطية :

-أبو زكرياء يحيى الورقلاني(471 هـ)

---

[1]-حسن أحمد محمود، دولة المرابطين، دار الفكر العربي، القاهرة، ص235.

[2]- م ن، ص02.

هو ابو زكرياء يحيى بن أبي بكر الورقلاني.كان رجلا فاضلا طالبا لعلوم المذهب الإباضي مقتفيا سيرة الأوائل من رجاله وكان الطلبة يقصدونه من كل حدب وصوب لارتواء من علومه ومعارفه، خلف الورقلاني كتابا عنوانه' سيرة الأئمةوأخبارهم"[1].

من نصوص الورقلاني:

"وبلغنا ان نفرا منهم اجتمعوا على غدر الإمام رضي الله عنه فأداروا أمرهم بينهم فقالوا كيف لنا بالوصول إلى قتله فلم يتجه لهم ذلك ثم إن رجلا منهم قال لهم:هل لكم في رأيي؟أن تأخذوا تابوتا وتجعلوني فيه وتمضون بالتابوت إليه كأنكم مختمون عليه وتمتنعوا من الاتفاق عليه وأن يجعل في يدي أحدكم دون غيره فإذا صرتم إلى ذلك فقولوا له لا نرضى أن نضعه عند أحد سواك فاتفق رأيهم على ذلك(...) فلما سمع ضربة بالسيف نزع الغطاء عن المصباح واستضاء البيت فقصده وضربه الإمام بالسيف فقده نصفين فأخذه ولفه في ثيابه ورده في تابوته(...) فقال بعضهم لبعض امضوا بنا لنأخذ تابوتنا ونقول له لقد اتفقنا عليه واصطلحنا قال فأقبلوا إلى الإمام رضي الله عنه،وقالوا له أعطنا تابوتنا فقد اتفقنا عليه قال فقال لهم الإمامامضوا إلى الموضع الذي وضعتم فيه تابوتكم فخذوه فمضوا معه حتى دخلوا البيت فوجدوا تابوتهم في الموضع الذي وضعوه فيه فحملوه فلما وصلوا إلى مأمنهم فتحوا تابوتهم فوجدوا صاحبهم قتيلا مقدودا نصفين فخيب الله سعيهم وأظهر بغيهم وأخلف ظنهم فخرجوا من المدينة خوفا من صنيعهم من المسلمين"[2].

---

[1]– الغوثي، إرشاد الحائر إلى أدباء الجزائر، ص153.

[2]– أبو زكريا يحيى بن أبي بكر الورجلاني، سير الأئمّة وأخبارهم، تحقيق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعيّة، 1979، ص60.

المحاضرة التاسعة:

الأدب الجزائري في عهد الدولة الموحدية:

الحركة الثقافية:

صار أدباء المغرب الموحدي ينافسون أدباء الأندلس، لأول مرة في التاريخ،وطبع الأدب المغربي بطابع القومية والأصالة، وصار أدبا معبرا عن المشاعر المغربية الحقة"[1]، وإن عصر النضج الثقافي في المغرب الإسلامي كله يبتدئ بقيام الدولة الموحدية"[2].

ففي عهد الموحدين كثر احتكاك الأندلسيين والمشارقة بحواضر المغرب"[3].

عوامل الازدهار الثقافي في الفترة الموحدية:

- –تشجيع السلطة الحاكمة للحركة الثقافية واهتمامها بالعلم والعلماء.
- –توافر المرافق العلمية التعليمية كالكتاتيب والمدارس والمساجد واضطلاعها بمهامها العلمية الدينية ونشرها للثقافة فازدهرت العلوم وانتشرت اللغة العربية بصفة ملحوظة.

---

[1]–عبد الله علام، الدولة الموحديّة بالمغرب، دار المعارف، 1971، ص03.

[2]–رابح بونار، المغرب العربي تاريخه وثقافته، دار الهدى، ط2، ص01.

[3]– الغبريني، عنوان الدراية في من عرف العلماء في المائة السابعة ببجاية، دار البصائر، (دط)، (دب)، 2007، ص38.

- الرحلات العلمية الكثيرة إلى المشرق والأندلس والاحتكاك بين الأندلسيين والمشارقة بالحواضر الموحدية.

من أدباء الموحدين:

عبد المؤمن بن علي الكومي(487-558 هـ)

هو أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي بن مخلوف بن يعلى بن مروان الكومي خليفة المهدي بن تومرت مؤسس دولة الموحدين العتيدة،ولد بتاجرة من ناحية مدينة ندرومة وبها تلقى مبادئ العلوم ولما صار حدثا انتقل إلى تلمسان(...)كان عبد المؤمن عالما متمكنا من علوم الدين كما كان أديبا ضليعا وكاتبا بليغا وشاعرا مجيدا علاوة على حفظه للتاريخ وايام الناس وتبحره في النحو واللغة وبراعته في علوم الفقه والحديث **والأصول** "[1].

نموذج من رسائله:

"فإذا وصل إليكم كتابنا هذا فتأملوه وتفهموه فإن كلام المهدي رضي الله عنه نور وضياء ورحمة وشفاء لما في الصدور وهو كله حكمة وعلم وموعظة فإذا تأملتموه وقبلتموه ينفعكم الله به وتجدون بركته إن شاء اللهعز وجل فاشكروا الله الذي خصكم به واعرفوا نعمة الله عليكم فقد خصصناكم به لقوة رجائنا فيكم وطمعنا لكم في الانتفاع به في الدنيا والآخرة ولم نخص به أحدا قبلكم فتأملوه فإن معانيه عظيمة وحكمته بليغة فاقبلوا عليه بأفهامكم(...)وهذه تذكرة ونصيحة فقد ذكرناكم فتذكروا ونبهناكم فانتبهوا ونصحناكم فاقبلوا ودعوناكم فاجيبوا زودنا الله وإياكم بالتقوى وختم لنا ولكم بالحسنى والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته"[2].

---

[1]- الغوثي، إرشاد الحائر إلى أدباء الجزائر، ص230.

[2]- م ن، ص231.

وله في الشعر:

أقيموا غلى العلياء هوج الرواحل

وقودوا إلى الهيجاء جرد الصواهل

وقوموا لنصر الدين قومة ثائر

وشدوا على الأعداء شدة صائل

فما العز إلا ظهر أجود سابح

يفوت الصبا في شدة المتواصل

وأبيض مأثور كان فرنده

على الماء منسوج وليس بسائل

بني العم من عليا هلال بن عامر

وما جمعت من باسل وابن باسل

هي الغزوة الغراء والموعد الذي

تنجر من بعد المدى المتطاول

بها تفتح الدنيا بها تبلغ المنى

بها ينصف التحقيق من كل باطل

أهبنا بكم للخير والله حسبنا

وحسبكم والله اعدل عادل

-أبو القاسم عبد الرحمن القالمي:

كان من كتاب الخليفة عبد المؤمن وابنه أبي يعقوب يوسف وانه لما توفي خلفه في ديوان الإنشاء ابن محشره(...)فد حفظ لنا التاريخ من أساليب الكتابة الديوانية رسالتين كتبهما على لسان الخليفة لموحدي وهما من أسلوب العصور المتاخرة التي ولع فيها الكتاب بالإطناب والزخرفة اللفظية وتعدد الإشارات الدينية والتاريخية"[1].

مقطع من رسالة يخبر فيها بهزيمة النصارى في نواحي قرطبه:

" وقد كان مقامنا بهذه الجزيرة مهدها الله – لتتميم المقصود فيها من إظهار الدين ونصر الملة ومرابطة في مقاسمة العدو –قسمه الله – وفي مهلة النظر في حسم دائها واستباحة أعدائها بلغنا أن رجلا من ذميمي النصارى–وقمهم الله – من أهل آبلة وما أخذ أخذها وما انضاف إليها من الإفريين وغيرهم –كبت الله جميعهم–قاصدون قصد هذه الجهة – كلأها الله – وقد وقعت الانتفاضة وحصل العلم بان أهل آبلة حمة النصارى وحماتهم ورؤسائهم وكماتهم وجمرتهم الملتهبة وجوزتهم المتغلبة والشةكة التي لم يحصدها قط حاصد والشجرة الملعونة التي لم يقصدهاعلى مد الدهر قاصد وأنهم خبا الله فيهم لأولي أمره وأولياءنصره سولت لهم انفسهم الخائنة الخروج إلى الغارة بهذه الجهات –كلأها الله تخيلا منهم ان جنود الله الموحدين قد تفرقت ذاهبة وسرحت قافلة وانتهازا منهم بزعمهم للفرصة قبل احتفال الجنود والاحتشاد لوقت الغزو فاستمروا مصممين وتهوروا مقدمين ومازالوا يتقدمون إلى حتفهم وتتضرب أسداد الغي من بين أيديهم ومن خلفهم مغالطين بالجرأة متخمطين بالبسالة خارقين لحجاب المهابة ناكمين عن سمت الإصابة إلى أن بلغوا إلى هذه البلاد حماها الله وأجازوا الوادي الكبير بين قرطبة وإشبيلية واكتسحوا جملا من الغنم كثيرة بجهة إستيجة(...)فالحمد

[1]– الغوثي، إرشاد الحائر إلى أدباء الجزائر، ص236.

لله على هذا الفتح العظيم خطره الجليل قدره الذي له ما بعده وانسياق ما ينجز الله وعده حمدا يبلغ رضاه ويوجب زلفاه ويمتري المزيد من نعماه"أبو القاسم عبد الرحمن القالمي"[1].

-عمر بن الأشيري التلمساني:

هو أبو علي عمر بن عبد الله الأشيري ولد بتلمسان في النصف الأول من القرن السادس الهجري وبها نشأ واخذ العلم عن الأستاذ ابن علي بن الخزار ثم دخل الأندلس وتتلمذ لأبي الحجاج بن يسعون بمدينة المرية(...)كان ابن الأشيري من أهل العلمبالقراءات واللغة والغريب ويغلب عليه الأدب كما كان ناظما وناثرا ومن آثاره كتاب تاريخي مختصر سماه'نظم اللآلي في فتوح الأمر العلي"[2].

قال الأشيري يصف معركة حربية:

دارت رحى الهلكات بالسبطاط

وسطا بها ريب الزمان الساطي

وأهين فيها الشرك أي إهانة

شفعت كربه ماطها بمياط

إن لم تقم فيها قيامة ملكهم

فلقد رأوا جملا من الأشراط

وأصارها وطء الجياد هشيمة

---

[1]- م ن، ص239.

[2]- الغوثي، إرشاد الحائر إلى أدباء الجزائر، ص243.

سوداء معتبر اللعين الواطي

لولا خروج الفصل عن مهتاده

لم يمهلوا مقدار سم خياط

ولعاينوا من أخذهم بذنوبهم

ماعاين النعمان في ساباط

جيش من العرب الذين إذا غزوا

كووا الأعاجم في الطلا بملاط

قوم إذا شمخ العناد بأنفه

وضعوا السيوف مواضع الأسواط

من كل ذمر ينثني في درعه

فكأنه في السرب من ذمياط

محمد بن محرز الوهراني:

هو أبو عبد الله محمد بن محرز ولد ونشأ بمدينة وهران وبعد أن تلقى مبادئ العلوم بها غادرها إلى مصر راغبا في الحصول على وظيفة كانت في ديوان إنشاء الملك صلاح الدين الأيوبي وبعد اتصاله برئيس الديوان أي القاضي الفاضل لم يظفر بمرغوبه لأنه مغربي وبعد أن مل الإقامة بمصر قصد دمشق (الشام)فولي منصب الخطابة بجامع داريا وبقي به إلى وفاته، كان ابن محرز على حظ كبير من الظرف والفضل والأدب ويمتاز أدبه بالسخرية البارعة والتهكم اللاذع ومن آثاره عدة رسائل في السخرية والتهكم هي آية في الإجادة:هي

تارة على شكل أحلام وطورا على شكل حكم وامثال تناول فيها عدة طوائف من العلماء والكتاب والشعراء وكذا القضاة والوزراء وحتى المتصوفة له'جليس كل ظريف' و' المنامات'"[1].

رسالة إلى أمير على لسان بغلة:

بعث الكاتب بهذه الرسالة إلى أمير من أمراء صلا ح الدين الأيوبي يستدربها وفده:

" قد أشرفت مملكته على التلف وصاحبها لا يحتمل العلف ولا يوقن الخلف ومعلوم يا سيدي أن البهائم لا توصف بالحلوم ولا تعيش بسماع العلوم ولا تطرب إلى شعر أبي تمام ولا تعرف الحارث بن همام ولا سيما البغال التي تجتمع في جميع الأشغال شبكة من القصيل أحب إليها من كتاب التحصيل وقفة من الدريس أحب إليها من فقه محمد بن إدريس ولو أكل البغل كتاب المقامات مات فإن لم تجد إلا كتاب الرضاعضاع ولو قيل له أنت هالك إن تأكل موطأ مالك ماقبل ذلك وكذلك الجمل لا يتغذى بشرح أبيات الجمل وحزمة من الكلاء أحب إليه من نثر أبي العلاء وليس عنده بطيب شعر أبي الطيب وإما الخيل فلا تطرب إلا لسماع الكيل وإذا أكلت كتاب الذيل ماتت في النهار قبل الليل وإذا أطعم الحمار شعر ابن عمارحل به الدمار وأصبح منفوخا كالطبل على باب الإسطبل"[2].

---

[1]–الغوثي، إرشاد الحائر إلى أدباء الجزائر، ص249.

[2]– الغوثي، إرشاد الحائر إلى أدباء الجزائر، ص250.

المحاضرة العاشرة:

الأدب الجزائري في عهد الدولة الحفصية:

الحياة الثقافية:

كان الحفصيون يقلدون نظام الموحدين ولا شك أن نظاما يستمد أصوله من النظام الموحدي لا يستغرب فيه ان يولي اهتماما عظيما للثقافة، يلاحظ أن التعليم كان يومئذ منتشرا بالكتاتيب والمساجد التي هي معاهد الإسلام العلمية وان الأمراء والعمال بقسنطينة وعنابة وبجاية ومدينة الجزائر كانوا يحبون العلم ويقربون أهله ويشجعونهم فزخرت المساجد بالعلماء ونبغوا في شتلى الفنون"[1].

من علماء الفترة:

الغبريني القاضي محمد بن ابراهيم الأصولي..النحوي: أبو الحسين زين الدين الزواوي..اشتهر في التوثيق:أبو القاسم عبد الرحمن بن السطاح.

الأدب:

بقي الأدب الجزائري على العهد الحفصي الأول كما كان في عهد الموحدين مزدهرا يجري على ما كان عليه من الاتجاهات لكن وحدة الإمارة لم تلبث أن تفككت فحكم بعض أمرائها في تونس واستبد بعضهم ببجاية والآخرون بقسنطينة والكل يريد أن يفاخر الآخر في ابهة السلطان فيقرب الأدباء ويحسن إليهم فيأخذ الشعراء في مدحهم والإشادة بفضلهم ورغم ذلك لم يزدهر الشعر في هذه البونة ازدهاره في ريعان شباب الدولة"

---

[1]– محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، ص184.

نماذج أدبية:

محمد بن الحسن التميمي القلعي:

هو أبو عبد الله محمد بن الحسن التميمي القلعي من قلعة بني حماد كان جده ميمون قاضيا بها نشأ بالجزائر ودرس بها ثم انتقل إلى بجاية واستوطنها وبها أتم دراسته على فطاحل مشايخها الذين منهم أبو الحسن الحرالي ونظراؤه وكان يحضر دروسه مع الطلبة فضلاؤهم،كان التميمي بارعا في علوم العربية ولاسيما في النحو واللغة والأدب كما كان قويا في علم التصريف(...) ومن تآليفه كتاب 'الموضح' في علم النحو"[1].

شوقه لنبي صلى الله عليه وسلم:

أمن أجل أن بانوا فؤادك مغرم

وقلبك خفاق ودمعك يسجم

وماذاك إلا أن جسمك منجد

وقلبك مع من سار في الركب منهم

ولا عجب إن فارق الجسم قلبه

فحيث ثوى المحبوب يثوي المتيم

وماضرهم لو ودعوا يوم أودعوا

فؤادي بتذكار الصبابة يضرم

عساهم كما ابدوا صدودا وجفوة

[1]– الغوثي، إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر، ص366.

يعودون للوصول الذي كنت اعلم

وإني لأدعو الله دعوة مذنب

عسى انظر البيت العتيق والثم

فيا طول شوقي للنبي وصحبه

ويا شد ما يلقى الفؤاد ويكتم

توهمت من طول الحساب وهوله

وكثرة ذنبي كيف لا أتوهم

وقد قلت حقا فاستمع لمقالتي

فهل تائب مثلي يصيح ويفهم

وذاك في القرآن أوضح حجة

وماثم إلا جنة أو أو جهنم

إليك رسول الله ارفع حاجتي

فانت شفيع الخلق والخلق هيم

فيا سامع الشكوى أقلني عثرتي

فإنك يا مولاي تعفو وترحم

قال محمد القلعي في الزهد:

الخُبر أصدق في المرأى من الخَبر

فمهد العذر ليس العين كالأثر

واعمل لأخرى ولاتبخل بمكرمة

فكل شيء على حد إلى قدر

وخلّ عن زمن تخشى عواقبه

إن الزمان غذا فكرت ذو غير

وكل حيّ وإن طالت سلامته

يعتاله الموت بين الورد والصدر

هو الحمام فلا تبعد زيارته

ولا تقل ليتني منه على حذر

ياويح من غره دهر غسرّ به

لم يخلص الصفو إلا شيب بالكدر

انظر لمن باد تنظر آية عجبا

وعبرة لأولي الألباب والعبر

- **شمس الدين بن عفيف التلمساني(الشاب الظريف):-**

موشح:

قمر يجلو دجى الغلس

بهر الأبصار مذ ظهر

أمن من شينة الكلف

ذبت من حبه بالكلف

ولم يزل يسعى إلى تلفي

بركاب الذل والصلف

آه لولا اعين الحرس

نلت منه الوصل مقتدرا

يا اميرا جار مذ وليا

كيف لا ترثي لمن بليا

فبثغر منك قد جليا

قد حلا طعما وقد حليا

المحاضرة الحادية عشرة:

الأدب الجزائري في عهد الدولة الزيانية:

لمحة تاريخية حول الأدب في عصر الدولة الزيانية:

دخل بنو مرين وبنو عمومتهم بنو وطاس بلاد المغرب الأقصى وبسطوا سلطانهم عليها وورثوا الموحدين فيها(...) وفي ذلك الوقت أيضا دخل فريق آخر من الزناتية الجدد بلاد المغرب الأوسط واستقروا في ناحية تلمسان وهو بنو عبد الواد أو بنو زيان"[1].

بعد توطين الهلاليين في جميع نواحي المغرب الأوسط وترسيخهم بين القبائل والبوادي التي سكنوها من قبل في عهد الموحدين فإن اللغة العربية قد ازدادت انتشارا في العهد الموالي له وهو عهد العبد الواديين أو عهد الزيانيين فقد أصبحت مستعملة في جميع القرى والمدن والبوادي(...)إن الزيانيين جعلوا تلمسان عاصمة العلم والمعرفة فقد تنافسوا في بناء المدارس بها مما نسميه الآن بالجامعات حتى أصبح عددها يصل إلى سبع مدارس وأكرموا العلماء الذين كانوا يدرسون فيها فانتشرت العلوم في تلمسان انتشارا واسعا جعلها قبلة لطلبةالعلم فقد تخرج من تلك المدارس– وبالأخص من المدرسة التاشفينية التي لعبت دورا هاما في ميدان الثقافة طيلة خمسة قرون كاملة– عدد وافر من العلماء الذين انتشروا بعد ذلك في أقصى البلاد الإسلامية على امتداد أطرافها"[2].

---

[1]– ابن الأحمر، تاريخ الدولة الزيانيّة بتلمسان، تقديم وتحقيق وتعليق هاني سلامة، مكتبة الثقافة الدينية للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2001، ص09.

[2]– الغوثي، إرشاد الحائر إلى أدباء الجزائر، ص316.

الأجواء الثقافية والأدبية في العهد الزياني:

وإذا كان السلطان نفسه يقرض الشعر ويقرب لديه الأدباء والعلماء ويحسن إليهم لتشجيعهم فإنه يجعل قصره ومشواره دار ثقافة ممتازة ودار مسابقة أدبية، كل شاعر يطلق فيها عنان قريحته فيأتي بقصائد شيقة وفائقة للغاية.فكم لشعر أبي حمو موسى الزياني من حسن وأناقة وكم شعر أبي جمعة التلاسي من جمال ودقة في الوصف والتعبير"[1].

عرف الأدب الجزائري في هذه الفترة ازدهارا كبيرا.فتطور تطورا محسوسا من حيث الكم ومن حيث الكيف ولقد تهيأت لذلك عدة عوامل من شأنها أن تدفع به فقد قيض الله للبلاد أن قامت فيها دولة كان ملوكها من العلماء والأدباء والشعراء فمن البديهي أن يسعوا في تنشيط الحركة العلمية والأدبية فقربوا إليهم أهل العلم والأدب وأغدقوا عليهم وحاطوهم برعايتهم وعنايتهم فأصبح البلاط الزياني زاخرا بالأدباء"[2].

أدباء الفترة الزيانية:

محمد الأريسي الجزائري:

هو أبو عبد الله محمد بن أحمد الأريسي المعروف بالجزائري وهو حفيد الفقيه أبي عبد الله محمد بن أحمد الأريسي الذي كان من نظراء الفقيه أبي علي عمر بن عزون السلمي،وكان صاحب الترجمة شيخ كتبة الديوان ببجاية،كان الأريسي الجزائريحسن النظم والنثر سهل الشعر كثيرا يأتيه عفوا من غير تكلف، وله شعرفي كل فن من فنون الشعر"[3].

قال الأريسي:

أهل الحمى هل لكم عن قصتي

---

[1]– الغوثي، إرشاد الحائر إلى أدباء الجزائر، ص31.

[2]– محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، ص221.

[3]– م ن، ص321.

وأن ليلى بليلي كله سهر

وفي ضلوعي نيران يضرمها

دمع على صفحات الخد ينهمر

لما رأيت بدور الحي سافرة

عن النقاب بدا لي أنه السفر

ولا عوامل إلا من قد ودهم

ولا صوارم إلا ما انتضى الحور

سألته الله يا حادي المطيّ بهم

رفقا علي لعل الصدع ينجبر

كروا على قلبي قلب يميل إلى

حديث من قتلوا منا ومن أسروا

وأنت يا سعد إن غنت ظباؤهم

فقف تعاين فؤادي كيف ينفطر

وربّ ليل بليلى بت أسهره

وحسدي نوم والليل معتكر

تبدو كشمس الضحى تعلو قضيب

وتنثني مثل غصن فوقه قمر

تقول والحسن يطغيها فيظلمني

ولامؤازر إلا صارم ذكر

دع الحسام وضع حمل السلاح فما

في كل وقت يفيد الحزم والحذر

-محمد بن عبد السلام التدلسي:

هو أبو عبد الله محمد بن يحيى بن عبد السلام أصله من تدلس(مدينة شرق الجزائر)وسكن بجاية ولقي بها المشايخ وولي القضاء ببعض أكوار بجاية وكان له سمة حسن واستحسان وكان له حظ كذلك فيعلم الطب وكان مزاولا ومعالجا وكان بارعا في الأدب والتاريخ كما كان له حظ من الفقه حتى أنه كان ينسب إلى الفقه لا إلى الأدب ولكن الغالب عليه هو الأدب وله أشعار مطولات ومختصرا رائعة"[1].

من شعره:

شمس السعادة لا سنى النبراس

حلت بأفق علي بن سيد الناس

وبطائر اليمن ارتقت لسمائه

تختال بين كواكب أخراس

من معشر بذل النوال شعارهم

وهم الأسود لدى احتدام الناس

---

[1]- الغوثي، إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر، ص329.

يذكون نيران الوغى بأسنة

ولدى القرى يذكون بالأقباس

وهو الربيع وزهر سعدك أقبلا

يتصافحان بروضة مقياس

فاهنأ بشمس الدجن يا قمر الدجى

وانعم بطيب العيش والإيناس

والبس رداء الفخر جرر ذيله

أنت المحلى بالعلى والكاس

واشرب صبوحك من سعودك

خمر المسرة روقت في الكاس

فلك الفخار على الأنام بسؤدد

أورثته فبنيت فوق أساس

أبو جعفر بن امية البجائي:

هو أبو جعفر بن أمية البجائي الظاهر انه كان يحترف خطة نسخ الكتب ببجاية لأنه بارع الخط حتى قيل فيه 'إنه ابن مقلة زمانه' ومن المعلوم أن ابن مقلة المتوفى عام 398 هـ كان إمام الخطاطين، كان لابن أمية شعر كثير في النسيب والحكمة والتصوف :له في ذلك القصائد المطولات والمقطعات المتخيرات"[1].

[1]– الغوثي، إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر، ص335.

من شعره:

بمركز قلبي او محيط جوانبي

هوى لمنال الجود ليس بنازح

وماذاك إلا أن أرى ومشيئتي

إلي وسر العلم طيّ جوانحي

فهل سعة الجود الإلهي تقتضي

مرادي فقد ضاقت عليّ جوانحي

محمد بن عبد الله الشهير بحافي رأسه التلمساني(606-680هـ) :

هو ابو عبد الله محمد بن عبد الله الملقب بجمال الدين الشهير " بحافي رأسه" الزناتي أصلا ولد بتلمسان ودرس على محمد بن مناداسي وعبد الرحمن الزيات ثم ارتحل إلى المشرق فنزل مصر واستقر بالإسكندرية وتصدر لإقراء العربية فتخرج عليه طلبة كثيرون،كان حافي رأسه من أئمة العربية في عصره إذهو أحد النحاة الثلاثة المحمدين في عصر واحد، هو في الاسكندرية وابن النحاس في مصر وابن مالك في دمشق وكان يقرض الشعر الجيد"[1].

من شعره:

ومعتقد ان الرياسة في الكبر

فأصبح ممقوتا بها وهو لايدري

يجر ذيول الكبر طالب رفعة

[1]- الغوثي، إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر، ص373.

ألا فاعجبوا من طالب الرفع بالجر

...وقال:

شكوت إليك نور الدين حالي

وحسبي ان أرى وجه الصواب

وكتبي بعتها ورهنت حتى

بقيت من المجوس بلا كتاب

-ابن خميس التلمساني(645-708 هـ):

" هو أبو عبد الله محمد بن عمر الحجري الرعيني المعروف بابن خميس التلمساني ولد بتلمسان ونشا بها وأخذ عن علمائها(...)وقد جمع شعره في ديوان القاضي الحضرمي وسماه " الدر النفيس من شعر ابن خميس" لكن يغلب على الظن انه ضاع ونشر عبد الوهاب بن منصور بتلمسان عام 1365 هـ ' المنتخب النفيس في شعر ابن خميس"[1].

من شعر ابن خميس:

نظرت إليك بمثل عيني جؤذر

وتبسمت عن مثل سمطي جوهر

عن ناصع كالدر أو كالبرق أو

كالطلع أو كالأقحوان مؤشر

تجري عليه لما بها نظفة

---

[1]- الغوثي، إرشاد الحائر إلى أدباء الجزائر، ص407.

بل خمرة لكنها لم تعصر

لولم يكن خمرا سلافا ريقها

تزري وتلعب بالنهى لم تحظر

وكذاك ساجي جفنها لو لم يكن

فيه مهند لحظها لم يحذر

لو عجت طرفك في حديقة ضدها

وأمنت سطوة صدغه المتنمر

لرتعت من ذاك الحمى في جنة

وكرعت من ذاك اللمى في كوثر

-لسان الدين بن الخطيب(713-776هـ):

"هو أبوعبد الله محمد بن عبد الله الملقب بلسان الدين بن الخطيب(...) كان ابن الخطيب كاتبا وشاعرا ومصنفا قد بلغ في الشعر والترسل حيث لا يجارى فيهما..واما شعره فإنه رائق المعنى رقيق اللفظ مقبول الصنعة.."[1].

من شعره:

حيا تلمسان الحيا فربوعها

صدف يجود بدرها المكنون

ماشئت من فضل عميم إن سقى

[1]- الغوثي، إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر، ص457.

أروى ومن ليس بالممنون

أو شئت من دين إذا قدح الهوى

أروى ودنيا لم تكن بالدون

ورد النسيم لها بنشر حديقة

قد أزهرت أفنانها بفنون

وإذا حبيبة أم يحيى أنجبت

فلها الشفوف على عيون العين

-السطان أبو حمو موسى الزياني(723-791هـ):-

" هو السلطان أبو حمو موسى الثاني بن يوسف بن زيان من سلالة يغمراسن بن زيان مؤسس دولة بني عبد الواد أو بني زيان بالمغرب الأوسط عام633هـ(...)كان السلطان أبو حمو ذا حظ وافر من العلم والأدب يقرض الشعر ويحب أهله وكان يحتفل ليلة المولد النبوي بمافوق مواسم العام وكان ما من ليلة مرت من أيامه بهذا الاحتفال إلا ونظم فيها قصيدة في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم"[1].

قال أبو حمو موسى واصفا معركة:

فهناك فرسان العدى طافت بنا

من كل طاغ في الوغى أو معتد

فنضيتها صمصامة رومية

[1]- الغوثي، إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر، ص489.

وهززت منها منتهى ضرب اليد

أوردتها علق النجيع من العدى

نهلا وما رويت بذاك المورد

فلكم كررت عليهم من كرة

بمشطب ومثقب ومهند

من فوق ضامرة الحشا وحشية

جرداء حجر نعالها كالجلمد

فكأنها برق يلوح لشائم

وكأنها نجم يلوح لمهتد

من خلفنا النجل الرضي مسربل

شهم اللقاء فمثله لم يولد

فكأنه في الخيل ليث عابس

يسقي الفوارس في الوغى كأسا ردي

وإذا انثنى نحو العداة فكم له

من فارس فوق التراب موسد

من فوق أشهب ضامر حسن الحلى

فكأنه ريح تروح وتغتدي

دارت بنا الأعدا فصرنا بينهم

كالدرة البيضا بليل أسود

إثنان كان الله ثالثنا بها

ولكم له عند الشدائد من يد

ولكم عفا ولكم أنال تفضلا

والله ربي ناصري ومؤيدي

وقال أبو حمو موسى الزياني[1]:

حان الفراق فكنت منه بمنزل

ودنا الفراق فكنت فيه بأول

وتحكم البين المشتت والنوى

فينا بفتكة سيفه المتكلل

وبدا غراب البين في عرصاتها

يرثي عليها منزلا في منزلي

والوصل ولى راحلا في إثره

قاضي الفراق على كثيب محجل

خلت المعالم والطلول دوارس

1-مؤلف مجهول، زهر البستان في دولة بني زياني، تحقيق وتقديم بوزياني الدراجي، ج1، مؤسسة بوزياني للنّشر، الجزائر، 2013، ص25.

وذوى الرياض وكل ربع مزبل

والدار أمست بلقعا من أهلها

يرثي عليها كل طير أليل

-محمد بن أبي جمعة التلالسي التلمساني:

هو أبو عبد الله محمد بن أبي جمعة التلالسي التلمساني الدار كان طبيب السلطان أبي حمو موسى الثاني وهو من أسرة جل أفرادها أطباء كان على قيد الحياة بتلمسان مابين عامي 760-767هـ ونجهل تاريخ وفاته(...)كان أديبا وشاعرا دل على ذلك ما خلفه لنا من القصائد الحسناء والموشحات الرقيقة خصوصا ماكان في مدح النبي صلى الله عليه وسلم وله في كل المناسبات والأحداث التي كانت تقع بقصر السلطان قصائد شيقة وموشحات رائعة تدل على ان صاحبها كان متفننا ينظم الشعر ويحسن قرضه"[1].

قال مادحا النبي صلى الله عليه وسلم:

نبي كريم شرف الله قدره

وفضله في القبل والبعد والحال

نبي به سدنا على كل أمة

فلا أمة إلا لنا تحت إذلال

سما لإله العرش والليل أليل

من المسجد الأقصى إلى المرتقى العالي

[1]- الغوثي، إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر، ص501.

لمولده نور على الأرض قد بدا

غدا دونه بدر الدجى دون إكمال

نجونا به من كل خطب يروعنا

وأنقذنا من كل خوف وأوجال

هو المصطفى ساد الأنام وقدره

على كل مخلوق نطقت ه غالي

حليم رحيم مؤثر متفضل

رؤوف عطوف مانح دون تسآل

ربيع بشيرا للأنام أتى به

فكل ربيع فيه راحة إعلال

وهل من شفيع غيره يرتجى إذا

عرى الناس سكر من عذاب وأهوال

بأمدحه يا نفس لوذي فإنها

شفائي من وعك الذنوب وإبلائي

فمن رام أن يحصي فضائل أحمد

فذلك شيء لا يمر على بالي

عليه صلاة تملأ الأرض والسما

يحط بها وزري تحط أثقالي

عبد الرحمن الثعالبي الجزائري(785-875هـ):

" هو أبوزيد عبد الرحمن بن عمر بن مخلوف الثعالبي الجعفري المالكي الأشعري أصله من قبيلة الثعالبة ولد في محل أبويه بوادي يسّر.رحلفي طلب العلم فدخل بجاية وكان عمدة قراءته بها وقد اثنى عليه جماعة من شيوخه(...)كان الثعالبي إماما علامة له عدة مصنفات في العلوم الدينية والتفسير والوعظ والتصوف والتراجم منها ما هو مطبوع 'كلجواهر الحسان في تفسير القرآن'..'روضة الأزهار ونزهة الاخبار'..و' الانوار المضيئة الجامعة بين الحقيقة والشريعة' و'كتاب المراثي'و'طبقات المالكية' وغير ذلك كما له اشعار وقصائد كثيرة متفرقة هنا وهناك"[1].

من شعر الثعالبي:

وإن امرؤ أدنى بسبعين حجة

جديرا بأن يسعى معدا جهازه

وان لا تهز القلب منه حوادث

ولكن يرى للباقيات اهتزازه

وأن يسمع المصغى إليه لصدره

أزيزا كصوت القدر يبدي اهتزازه

فمابعد هذا العمر ينتظر الذي

يعمره في الدهر إلا احترازه

---

[1]-ينظر: الغوثي، إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر، 574-575.

وليس بدار الذل يرضى أخو حجى

ولكن يرى أن بالعزيز اعتزازه

المحاضرة الثانية عشرة:

الأدب الجزائري في عهد الدولة المرينية

الدولة المرينية:

لقد تضاربت الأقوال حول بني مرين،واختلفت الآراء حول أصلهم ونسبهم،فكثرت النظريات وتشعبت الأحكام،فكان من المؤرخين من أرجع نسبهم إلى البربر،وكان منهم من أكد عروبتهم، كما كان منهم من ادعى أنهم أوربيون كسائر القبائل البربرية"[1].

كان السبب في دخول بني مرين إلى هذا القطر المغربي أنه لما كانت وقعة العقاب بالأندلس سنة تسع وستمائة وهلك الناصر وهزم الجمهور من حامية المغرب ورعاياه حتى خلت البلاد من أهلها ثم حدث بعد ذلك الوباء العظيم الذي تحيف الناس إلا قليلا"[2].

الحياة الاجتماعية:

تكونت البيئة الاجتماعية في هذا العصر من عناصر اختلفت في أصلها،في تكوينها وفي سلوكها النفسي والاجتماعي،كما اختلفت في قوتها وفي ضعفها" ، منها **العنصر العربي**،"منذ الفتح العربي دخلت المغرب فاستوطنته عناصر عربية سكنت هنا وهناك حسب اعتبارات مادية وأخرى معنوية فاعلة(...) هناك عنصر آخر من عناصر سكان المغرب لا يجب أن نغفل عن ذكره، نظرا لما قام به من دور وما تركه من أثر في هذه البيئة التي كانت إطارا واحدا لجميع العناصر المختلفة التي تعايشت كلها فيه وتفاعل بعضها مع بعض فكونت وحدة اجتماعية لها طابعها الخاص،والأمر يتعلق هنا بالأندلسيين الذين ترددوا على المغرب أو عاشوا فيها حينا أو استقروا فيها نهائيا لأسباب دينية،أو اجتماعية أو اقتصادية(..كما.)أجمع المؤرخون أو كادوا على أ ن أهل الذمة اليهود والنصارى بصفة عامة عاشوا في المجتمعات الإسلامية عيشة كريمة محترمة لا مسهم سوء ولا يصيبهم أذى إلا في أحوال نادرة نظرا لما تمتعوا به في هذه المجتمعات من تسامح ديني واجتماعي[3].

---

[1]– محمد بن أحمد بن شقرون، مظاهر الثقافة المغربية في العصر المريني، منشورات دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1986، ص16

[2]–أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ص06.

[3]– ينظر: محمد بن أحمد بن شقرون، مظاهر الثقافة المغربية في العصر المريني، ص36–38.

الحياة السياسيّة:

خضع هذا المجتمع المغربي في هذا العصر كالعصور التي سبقته، أو لحقته لقانون النشوء والارتقاء فشهد قيام دولة وسقوط دولة أخرى، دولة تنشأ وترقى وتتطوروودولة تشيخ وتعجز فتحتضر وتموت ،ذلك ماعاشه المغرب في هذه الفترة الأولى التي تبدأ بقيام دولة مرين وسقوط دولة الموحدين"[1].

المحاضرة الثالثة عشرة:

الأدب الجزائري في عهد الدولة العثمانية

الحياة الأدبية:

لم يبق من الحركة الفكرية التي طالما ازدهرت قبل هذه الفترة إلا ذلك البصيص النافذ في بيوتات عرفت بالعلم من قديم، فلا نجده ماثلا في القرن العاشر في أديب يستحق هذا الاسم

[1]– م ن، ص44.

عن جدارة وإنما نعثر على رجال مثقفين زاولوا قرض الشعر وأصابوا منه بعض الشيء فالأدباء الذين يتميزون بهذه الصفة لا نعثر عليهم غلا في القرن الحادي عشر مع ' المقري' و'ابن الفكون' وغيرهما فإنهم عالجوا الشعر وجاءوا بالقصائد التي تنبئنا بخروجه من نكسته التي اصابته في القرن السابق(...) وعالجوا النثر فأتوا به خالصا كانه شعر منثور عمدوا فيه غلى المحسنات البديعية في حين ومطبعا مرسولا في حين آخر"[1].

المشهد الشعري:أن الشعر كان نسبيا مزدهرا وأن أغراضه قد تعددت حسب بواعثه، وهي الدين والسياسة والاجتماعيات والذات"[2].

ملاحظات هامة:

-كثير من دواوين الشعراء خلال الفترة العثمانية ماتزال طي الكتمان فلم تحقق ولم تنشر كالمنداسي وابن علي وابن عمار والمقري وابن سحنون وابن الشاهد.

-كان الباعث الديني أهم البواعث على قول الشعر في الفترة العثمانية وارتبطت النصوص الشعرية بالمواسم الدينية كالحج والمولد النبوي الشريف.

-لم يجد الشعراء خلال هذه الفترة أي تشجيع معنوي ولامادي من طرف الحكام إلا نادرا.

-كان الشعر الديني من أوسع الأغراض الشعرية انتشارا،وخاصة ما تعلق بمدح النبي صلى الله عليه وسلم.

-لم يرتبط الشعر السياسي بالسياسة إلا في مناسبات محدودة كالجهاد ضد الأجانب وخاصة الإسبان.

---

[1]- محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، ص324.

[2]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830)، ج2، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1998.

-كان الشعر الاجتماعي شعرا إخوانيا بين العلماء في ،مناسبات معينة ،وشعر الرثاء والمدح لغير الأمراء ورجال الدين.

-نماذج أدبية:

-أبو زكريا يحيى بن خلدون(745-780هـ):هو أبو زكريا يحيى بن محمد بن خلدون التونسي النشأة التلمساني الدار(...)كان يحيى بن خلدون كاتبا بارعا وشاعرا مجيدا ومؤرخا .وأشهر آثاره كتاب 'بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد'(ملوك تلمسان)"[1].

أمولى الملوك وأعلى الأمم

ومن جوده العالم الكل عم

مضت ساعة ليت لو تثنى

فإن الحياة بكم تغتنم

ولله وجهك لما بدا

وقد خلته البدر في الأفق تم

عليه لأجل التقى هيبة

وفيه من الفضل بشر الكرم

أقمت بمولد خير الورى

سرورا لكم بالمعالي حكم

محمد النقاوسي:

---

[1]- الغوثي، إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر، ص465.

ولد عام 848هـ(1444م)وكان على قيد الحياة عام897هـ(1492م)

هو أبو عبد الله محمد بن محمد النقاوسي ولد بقرية نقاوس وبها حفظ القرآن ثم تحول إلى قسنطينة فتونس طلبا للعلم ثم ارتحل إلى الديار المصرية(...)علاوة على غزارة علمه وفضله فإن النقاوسي كان أديبا بارعا وأشهر آثاره الأدبية القصيدة التي مدح بها المولى أبا زكريا يحيى بن محمد بن مسعود الحفصي "[1].

من المدح

ضحك الربيع وجاء سعد مقبل

ولك الهنا ذهب الزمان الممحل

فارفل فديتك في ميادين المنى

هذا لواء النصر وافى يرفل

وأرح جواد الجد في إثر العدى

فسهام سعدك في الأعادي أنبل

-محمد بن عبد الرحمن الحوضي:

" هو ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الحوضي ولد ونشأ بتلمسان وقرا على جلة علمائها وتفوق في الأصول والأدب وكانت وفاته بتلمسان،كان الحوضي شاعرا لا بأس به له شعر في أغراض شتى كما له نظم في العقائد شرحه الإمام السنوسي"[2].

غزلا:

---

[1]- الغوثي، إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر، 583.

[2]- الغوثي، إرشاد الحائر، إلى آثار أدباء الجزائر، ص630.

أرذاذ المزن من عين نزل

أم دموع الشوق إن رق الغزل

أبعيني دمعة وكافة

أم شعيب للنوى منها نزل

لا بكت عيني ولا أبغي البكا

ضوؤها عن فعلها إن لم تزل

دع عذولي اللوم إني شائق

رق طبعي دون صنعي في الأزل

أو ينسى العهد قلب دنف

والهوى قبل النوى عنه نزل

-محمد بن عبد الرحمن المغيلي:

"هو أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم المغيلي نشأ بتلمسان واخذ عن علمائها وعن غيرهم كمحمد بن عبد الجبار الفقيقي والعاقب الأصمي والفقيه احمد(...)كان المغيلي ناثرا كما كان فقيها مفسرا ومتكلما له بسطة في الفهم والتقدم وقد خلف تآليف كثيرة منها" البدر المنير في علم التفسير" و"مصباح الأرواح في أصول الفلاح"[1].

كما كانت له قصائد كثير منها:

سمعت بأمر ما سمعت بمثله

[1]- الغوثي، إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر، ص626.

وكل حديث حكمه حكم أصله

أيمكن أن المرء في العلم حجة

وينهى عن القرآن في بعض قوله؟

هل المنطق المعني إلا عبارة

عن الحق أو تحقيقه حين جهله

معانيه في كل الكلام وهل ترى

دليلا صحيحا لايرد لشكله

-عبد الرحمن الأخضري البسكري:

كان عالما ذا شهرة واسعة في الأوساط العلمية والثقافية في وقته لأن تآليفه المختصرة تلقاها المعلمون بالقبول والمتعلمون بالحفظ والاستفادة منها:

-الدرة البيضاء في الحساب والفرائض

-الجوهر المكنون في المعاني والبيان والبديع-

-السلم المرونق في علم المنطق

-شرح السراج في علم الفلك" 7الغوثي ص639

يقول:

وقل لمن لم ينتصف لمقصدي

العذر حق واجب للمبتدي

ولبني إحدى وعشرين حجة

معذرة مقبولة مستحسنة

لا سيما في عاشر القرون

ذي الجهل والفساد والفتون

وكان في أوائل المحرم

تأليف هذا الرجز المنظم

من سنة إحدى وأربعين

من بعد تسعة من المبين

-الشاعر سيدي امحمد بن عبد المؤمن[1]:

يحرض الأمير الداي حسن الشريف باشا لإنقاذ وهران

نادتك وهران فلبّ نداها

وانزل بها لاتقصدن سواها

واحلل بهاتيك البطائح والربى

واستصرخ دفينها الأواها

واستدع طائفة العساكر نحوها

يغزونها ولينزلوا بفناها

---

[1]- أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا (1492-1792)، الشركة الوطنيّة للنشر والتوزيع، الجزائر، 1968، ص452.

مستصحبين لواءك المنصور إذ

يلقاهم الفتح المبين وجاها

صرخت بدعوتك الجلية فاستجب

لندائها ولتكلمن مناها

حاشاك أن تفنى حشاشتها وقد

قصرت عليك رجاءها ونداها

قد طالما عبثت بها أيدي العدا

حتى استباحوا أرضها ودماها

المقري:

لعل من يمثل الأدب الجزائري في القرن الحادي عشر هو الأديب المؤرخ شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن احمد بن يحي بن محمد المقري نسبة إلى مقّرة وهي قرية من قرى بلاد الزاب"[1].

قال المقري:

اغتنم في الفراغ فضل ركوع

فعسى أن يكون موتك بغتة

كم صحيح مات قبل سقيم

ذهبت نفسه النفيسة فلتة

[1]– محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، ص336.

النثر:

نعني بالنثر هنا النثر الفني أو الأدبي وهو يشمل المقامات والرسائل الرسمية(الديوانية)والإخوانية،والوصف والتعازي وعقود الزواج، التي تفنن فيها أصحابها، والإجازات المنمقة، والشروح الأدبية والقصص والخطب وقد كان الأدب الجزائري في العهد العثماني غنيا ببعض هذه الفنون كالرسائل والتقاريظ، ولكنه كان فقيرا في بعضها كالخطب والقصص "[1].

-معرقلات نمو الأدب وانتشار اللغة كانت واضحة في الفترة العثمانية للاسباب التالية:

_الولاة كانوا لا يفقهون العربية ولايتذوقون أدبها عدا محمد بكداش الذي جمع حوله المثقفين وشجع حركة التأليف وكذا الباي محمد الكبير.

_ضعف مستوى الثقافة ومنافسة اللغة التركية لها وكذا بعض اللغات الاوروبية التي كان يتقنها ويفضلها الباشوات،زيادة على مزاحمة بعض اللهجات المحلية للغة العربية.

_انحصار نشاط الفئة المثقفة في الوظائف الرسمية، التي لا علاقة لها بالأدب وتذوقه وتشجيعه كالقضاء والإفتاء والتدريس.

_ميل الأدباء إلى شرح الأعمال الجاهزة بدل التأليف

عبد الكريم بن محمد الفكون(9881073هـ):

"عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الفكون أديب نحوي محدث جمع بين علمي الظاهر والباطن كان عالم المغرب الأوسط في عصره من أهل قسنطينة "

[1]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ص171.

من رسائل الفكون:بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على ممن انزل عليه القرآن،" وإنك لعلى خلق عظيم" وآله وصحبه وسلم أفضل التسليم، من مدنس الإزار المتسربل بسرابيل الخطايا والأوزار الراجي للتنصل من رحمة العزيز الغفار عبد الله عبد الكريم بن محمد بن الفكون أصلح الله بالتقوى حاله وبلغه من متابعة السنة النبوية آماله إلى الشيخ الشهير الصدر النحرير ذي الفهم الثاقب والحفظ الغزير الأحب في الله المؤاخي من اجله سيدي أبي العباس أحمد المقري أحمد الله عاقبتي وعاقبته وأسبل على الجميع عافيته أما بعد فإني أحمد الله إليك وأصلي على نبيه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ولا أريد إلا صالح الدعاء وطلبه منكم فإني أحوج الناس إليهوأشدهم في ظني إلحاحا عليه"[1].

المحاضرة الرابعة عشرة:

الأدب الجزائري في المشرق والأندلس:

صورة الأدب الجزائري في المشرق العربي:

بكر بن حماد التاهرتي(200-296هـ):

هو أبو عبد الرحمن بكر بن حمادبن سهل بن أبي إسماعيل الزناتي، ولد بتيهرت حوالي سنة 200هـ(816 م) ونشأ بها، انكب من صغره على الدرس فتعلم على مشاهير علماء بلده ولم يلب ثان فارق وطنه وهو في حداثة سنه،عام217هـ(832 م) فشخص إلى القيروان في طلب العلم فأخذ عن علماء تلمك المدينة(...) ثم ارتحل إلى الشرق فدخل بغداد وكانت

[1]- محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، ص352.

يومئذ زاخرة بالعلماء فاتصل بهم وأخذ عن أبي مسدد وعمر بن مرزوق وبشر بن حجر ولقي أدباء لهم ذكر وصيت منهم أبو تمام ودعبل الخزاعي وعلي بن الجهم ومسلم بن الوليد صريع الغوانيوابن الأعرابي والرياشي... فصاحبهم وكانتله معهم مساجلات أدبية أسفرت عن ثبوت قدمه في الآداب وفي صناعتي الشعر والنثر(...)وماعتم أن قفل راجعا إلى مربع صباه فدخل في طريقه إلى القيروان سنة 274 هـ(887م) فتصدر لإقراء هناك،فانهال عليه الطلبة من كل فج وصوب فترامى صيته في الآفاق وصل خبره إلى الأندلس فقصده الكثير من أهلها للأخذ منه والتخرج على يده"[1].

من أشهر أدبائها الذين بلغت شهرته الأندلس والشام ومصر والعراق،الشاعر بكر بن حماد المولود بتيهرت عام 200هـ،لم يكد يبلغ السابعة عشرة حتى شخص إلى القيروان ثم بغداد طلبا للعلم ولتحصيل والحصول على إنجازات علمية وشهادات إبداعية،حيث كان له ذلك لما خالط شعراء مفلقين ولغويين عبقريين امثال ابي تماتم ودعبل الخزاعي وصريع الغواني وابن الأعرابي والرياشي وأبي حاتم السجستاني"[2].

وواضح ان بكر بن حماد هو الذي يمثل الأديب الجزائري الأول بحق، طوال عهد الرستميين بحكم أنه أكثر الشعراء الذين يعتزون إلى هذا العهد شعرا وأجملهم نسجا وألصقهم مكانة بالشعر ويعني ذلك انه كان أسعدهم حظا واوفرهم جدا حيث احتفظت لنا كتب الأدب والتاريخ والتراجم بجملة من مقطوعاته"[3].

كان من الممكن لشاعر تيهرت أن يمكث معززا مكرما في بغداد بعدما قربه خلفاؤها وأمراؤها وأصفاه ودَّهم علماؤها ومبدعوها لكن الرجل على غير عادة من نعرف من المغاربيين شده الحنين إلى وطنه غير ان القيروان التي خرج منها طالبا رحبت به أستاذا فاعترضت سبيله

---

[1]– محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، ص77.

[2]– محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، ص21.

[3]– عبد المالك مرتاض، الأدب الجزائري القديم، ص17.

عام 274 هـ ليحاضر في حرمها زهاء عشرين عاما ويظهر إن الرجل أحس بشيء حتمي ما فأبى إلا أن يوارى في الثرى الذي ولد فيه عام 296 هـ"[1].

الأغراض الشعرية عند بكر بن حماد

تناول بكر بن حمادالأغراض الشعرية التقليدية التي كانت متداولةفي عصره كالغزل والمدح والرثاء والهجاء والاعتذار والزهد، ويعد اليوم النموذج الأدبي التاريخيلأية دراسة في الأدب الجزائري القديم"[2].

ويبدو ان بكر بن حماد كان اول شخصية فكرية جزائرية صميمة ميلادا ومنشأ ونسبا ودارا ترقى إلى تبوئ شهرة عربية في المشرق والمغرب والأندلس حيث تصدر للتعليم

بالقيروان"[3].

نماذج من شعره[4]:

معارضته لعمران بن حطان الذي مدح 'ابن ملجم 'قاتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

قل لابن ملجم ولأقدار غالبة

هدمت ويلك للإسلام أركانا

قتلت أفضل من يمشي على قدم

وأولَّ الناس إسلاما وإيمانا

---

[1]- محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، ص21-22. (ضمن مقدمة التحقيق)

[2]- عبد المالك مرتاض، الأدب الجزائري القديم، ص23.

[3]- عبد المالك مرتاض، الأدب الجزائري القديم، ص39.

[4]- محمد بن رضا شاوش، الدر الوقاد من شعر بكر بن حماد، ص62.

وأعلم الناس بالقرآن ثم بما

سنّ الرسول لنا شرعا وتبيانا

صهر الرسول ومولاه وناصره

أضحت مناقبه نورا وبرهانا

وكان منه على رغم الحسود له

مكان هارون من موسى بن عمرانا

وكان في الحرب سيفا صارما ذكرا

ليثا إذا لقي الأقران أقرانا

ذكرت قاتله والدمع منهمر

فقلت سبحان رب الناس سبحانا

إني لأحسبه ماكان من بشر

يخشى المعاد ولكن كان شيطانا

كعاقر الناقة الاولى التي جلبت

على ثمود بأرض الحجر خسرانا

فلا عفا الله عنه ماتحمله

ولا سقى قبر "عمران بن حطانا"

قال في الاعتذار للإمام أبي حاتم[1]

ومؤنسة لي بالعراق تركتها

وغصن شبابي في الغصون نضير

فقالت كما قال النواسي قبلها

عزيز علينا ان نراك تسير

فقلت جفاني يوسف بن محمد

فطال علي الليل وهو قصير

أبا حاتم ماكان ماكان بغضة

ولكن اتت بعد امور امور

فأكرهني قوم خشيت عقابهم

فداريتهم والدائرات تدور

وله في الوصف: وصف تيهرت.

فلا عجب ان نلفي الشعراء الجزائريين في ذلك العهد المبكر من حياة الأدب الجزائري يعمدون إلى هذا الوصف ويحاولون التفنن فيه رغبة في التفوق وحرصا على التفرد وليس عجبا ان تصلنا مقطّعات مختلفة يصف فيها أصحابها أمكنة واحوالا واشخاصا أو زمنادون

[1]– محمد بن رمضان شاوش، الدر الوقاد من شعر بكر بن حماد، ص83.

ان يصلنا إلا الشيء القليل جدا من المقطوعات والقصائد التي كانت تمدح او تهجو حيث لم يصلنا منها إلا ما ارتبط بشخصية تاريخية مرموقة أو حادثة مهولة"[1].

يقول بكر بن حماد:

ما أحسن البرد وريعانه

وأطرف الشمس بتاهرت

تبدو من الغيم إذا ما بدت

كأنما تنشر من تحت

فنحن في بحر بلا لجة

تجري بنا الريح على السمت

تفرح بالشمس إذا ما تبدت

كفرحة الذمي بالسبت

رثاء ابنه:

في رثاء ابنه عبد الرحمن حين ساور سبيله وإياه وهما ميممان مدينة تاهرت عائدين من مدينة القيروان لصوصٌ فقتلوا الابن على التوّ بينما جرحوا الوالد الشاعر الشيخ الذي كان يومئذ في سن السادسة والتسعين... وقد اثر ذلك الحدث المريع الفظيع في نفسه الرقيقة وجسمه الفاني تأثيرا عميقا"[2].

بكيت على الأحبة إذ تولوا

---

[1]– عبد المالك مرتاض الأدب الجزائري القديم، ص61.

[2]– عبد المالك مرتاض، الأدب الجزائري القديم، ص67.

ولو أني هلكت بكوا عليا

فيا نسلي بقاؤك كان ذخرا

وفقدك قد كوى الأكباد كيّا

كفى حزنا بأني منك خلو

وأنك ميت وبقيت حيّا

ولم أكُ آيسا فيئست لما

رميت الترب فوقك من يديا

فليت الخلق إذ خلقوا بواق

وليتك لم تكن يا بكر شيذا

فلا تفرح بدنيا ليس تبقى

ولا تأسف عليها يا بنيا

فقد قطع البقاء غروب شمس

ومطلعها علي يا أخيا

وليس الهم يجلوه نهار

تدور له الفراقد والثريا

الزهد:

وكيف لايبدع في هذا اللون من الشعروهو يتزعم الحركة الزهدية في الأدب المغربي يومئذ كما كان يتزعمها أبو العتاهية في الشرق"[1].

لقد عرف بكر بن حماد بشاعر الزهد حتى إننا قد لا نغالي إن أطلقنا عليه أبا عتاهية الجزائر إذا لا نعرف شاعرا برع في هذا النوع الأدبي في بلاد المغرب كلها،على عهده على الأقل مثل براعته هو ،وإن كنا لنحسب أنه يعد أيضا من أكابر شعراء القرن الثالث للهجرة كله في أقطار المغرب إن لم يكن أكبرهم إطلاقا[2].

لقد جمحت نفسي فصدت وأعرضت

وقد مرقت نفسي فطال مروقها

فيا أسفي من جنح ليل يقودها

وضوء نهار لا يزال يقودها

إلى مشهد لابد لي من شهوده

ومن جزع للموت سوف أذوقها

ستأكلها الديدان في باطن الثرى

ويذهب عنها طيبها وخلوقها

سحاب المنايا كل يوم يظله

فقد هطلت حولي ولاح بروقها

وللنفس حاجات تروح وتغتدي

---

[1]– محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، ص81.

[2]– عبد المالك مرتاض، الأدب الجزائري القديم، ص65.

ولكن حدثان الزمان يعوقها

تجهمت حمسا بعد عشرين حجة

ودام غروب الشمس لي وشروقها

وأيدي المنايا كل يوم وليلة

إذا فتقت لا يستطاع رتوقها

يصبح الأقوام على حين غفلة

ويأتيك في حين البيات طروقها

كلمة ختامية في بكر:

"هذه نماذج من شعره الكثير الذي شرق وغرب وأغرم به اهل الأدب ولعمري إنه يحق له أن يقال عنه:شاعر المغرب العربي وأنه فريد عصره في ميدان القريض"[1].

ثانيا :صورة الأدب الجزائري القديم في الأندلس:

ابن خميس التلمساني(645-708 هـ):

يعد ابن خميس التلمساني من اهم الشعراء الذين أعطوا الصورة اللامعة للأدب الجزائري خارج الديار وذلك عندما عكس الصورة اللامعة للشعرية الجزائرية القديمة في بلاد الأندلس من خلال نماذج شعرية راقية.

هو أبو عبد الله محمد بن عمر الحجري الرعيني المعروف بابن خميس التلمساني ولد بتلمسان ونشا بها وأخذ عن علمائها(...)وقد جمع شعره في ديوان القاضي الحضرمي وسماه

[1]- محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، ص81.

" الدر النفيس من شعر ابن خميس" لكن يغلب على الظن انه ضاع ونشر عبد الوهاب بن منصور بتلمسان عام 1365 هـ ' المنتخب النفيس في شعر ابن خميس"[1].

من شعر ابن خميس:

نظرت إليك بمثل عيني جؤذر

وتبسمت عن مثل سمطي جوهر

عن ناصع كالدر أو كالبرق أو

كالطلع أو كالأقحوان مؤشر

تجري عليه لما بها نظفة

بل خمرة لكنها لم تعصر

لولم يكن خمرا سلافا ريقها

تزري وتلعب بالنهى لم تحظر

وكذاك ساجي جفنها لو لم يكن

فيه مهند لحظها لم يحذر

لو عجت طرفك في حديقة ضدها

وأمنت سطوة صدغه المتنمر

لرتعت من ذاك الحمى في جنة

[1]– الغوثي، إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر، ص407.

وكرعت من ذاك اللمى في كوثر

وللشاعر قصائد عديدة في أغراض متعددة امتازت باللغة القوية الجزلة وبالالتفات إلى الألفاظ الغريبة غير المتداولة،والتي تستدعى اطلاعا واسعا بالمتداول من الألفاظ كي تفهم نصوص هذا الشاعر.

فهرس المصادر والمراجع:

1- ابن الأحمر، تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان ،ط1،2001، تقديم وتحقيق وتعليق هاني سلامة، مكتبة الثقافة الدينية للنشر والتوزيع، القاهرة

2-ابن سعيد المغربي:المغرب في حلى المغرب،ج1، دار المعارف القاهرة ، الطبعة الرابعة، تحقيق شوقي ضيف

3-ابن عذاري المراكشي – البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب. ،الجزء الأول،تحقيق ومراجعة ج.س.كولان و ليفي بروفنسال،دار الثقافة بيرقت لبنان،ط 3 ، 1983

4-أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ،الجزء الأول، الجزء الثاني، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري،دار الكتاب الدار البيضاء 1954

5- أبوزكريا يحيى بن أبي بكر الورجلاني، سير الأئمة وأخبارهم، تحقيق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1979

6-أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، القسم الأول الجزء الأول ،تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة بيروت لبنان

7-أبو القاسم سعد الله:تاريخ الجزائر الثقافي،ج2(1500_1830)،دار الغرب الإسلامي،ط1998،1 بيروت

8-إحسان عباس:الخطابة العربية في عهدها الذهبي،دار المعارف،القاهرة 1964

9-أحمد توفيق المدني: حرب الثلاثمائة سنة،بين الجزائر وإسبانيا1492-1792م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر-1968

10-ا لحسن بن رشيق المسيلي: العمدة ي محاسن الشّعر وآدابه ونقده ، ت/ محييّ الدين عبد الحميد، دار الرشاد الحديثة . الدار البيضاء (المغرب)

11-الغبريني أحمد بن أحمد : عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية،دار البصائر.الجزائر 2007

12-بوزياني الدراجي:أدباء وشعراء من تلمسان،ج1،دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع لجزائر 2011.

13-بوزياني الدراجي:دول الخوارج والعلويين في بلاد المغرب والاندلس،دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع والترجمة.الجزائر 2007

14-حسن أحمد محمود: دولة المرابطين ،در الفكر العربي القاهرة.1964

15-رابح بونار :المغرب العربي تاريخه وثقافته،ط2،مطبعة دار الهدى

16-شوقي ضيف،تاريخ الأدب العربي ،عصر الدول والإمارات، دار المعارف، القاهرة،الطبعة الأولى

17-عبد الحليم عويس:دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري،دار الصحوة للنشر والتوزيع القاهرة،الطبعة الثانية 1991

18-عبد الرحمن باغي:ديوان ابن رشيق القيرواني ،دار الثقافة بيرروت لبنان،1989.ص9-

19-عبد الرحمن بن خلدون:العبر و ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر،دار الكتاب اللبناني،بيروت،مج1967،1.

20-عبد العزيز الراجكوتي،اين رشيق،المطبعة السلفية القاهرة 1343ه

21- عبد الله علام:الدولة الموحدية بالمغرب، دار المعارف 1971

22- عبد الله كنون الحسني :النبوغ المغربي في الأدب العرب، دار المنصور الرباط المغرب ،ط2، الجزء الأول

23-عبد المالك مرتاض:الأدب الجزائري القديم(دراسة في الجذور)،دار هومة للطباعة والنشر ولتوزيع، الجزائر.، طبعة 2005

24-عماد الدين الأصبهاني الكاتب،خريدة القصر وجريدة العصر، قسم شعراء المغرب،تحقيق محمد المرزوقي وآخرين،النشرة الثالثة، الدار التونسية للنشر،1986

25- عمر بن حسن بن دحية الكلبي،المطرب من أشعار أهل المغرب ،تح إبراهيم الأبياري وآخرين،مراجعة طه حسين، دار العلم للملايين،بيروت،لبنان، دط ،1955.

26-مؤلف مجهول :زهر البستان في دولة بني زيان،تحقيق وتقدين بوزياني الدراجي،ج2،مؤسسة بوزياني للنشر،الجزائر 2013.

27-مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تقديم وتصحيح محمد الميلي،ج1-2 المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1989

28--محمد الطمار: المغرب الأوسط في ظل صنهاجة،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،2010

29- محمد الطمار: تاريخ الأدب الجزائري،ديوان المطبوعات الجامعية، 2006 الجزائر.

30- محمد بن أحمد بن شقرون، مظاهر الثقافة المغربية في العصر المريني،دراسة في الأدب المغربي في العصر المريني،منشورات دار الثقافة الدار البيضاء المغرب.1986

31-محمد بن رمضان شاوش،الغوثي بن دحمان:إرشاد الحائر إلى تاريخ

أدباء الجزائر،دار البشائر للنشر والتوزيع الجزائر،2011

32- محمد بن رمضان شاوش:الدر الوقاد من شعر بكر بن حماد،مطبعة العلوم بمستغانم، الطبعة الأولى .1966

33-محمد عيسى الحريري:الدولة الرستمية بالمغرب العربي،تقديم إبراهيم أحمد العدوي،دار القلم للنشر والتوزيع،الكويت، ط3،

34- مسعود مجاهد الجزائري:تاريخ الجزائر،ج1،دط-دت.

35-هادي روجي إدريس:الدولة الصنهاجية- ،ج1،نقله إلى العربية حمادي الساحلي،ط1992،1 دار الغرب الإسلامي،بيروت لبنان.

36-ياقوت الحموي – . معجم الأدباء ، ت/مرجليوث . منشورات لجنة تذكار جب . لندن 1907 –1929م، بإشراف: أحمد فريد الرفاعي، دار الرفاعي – القاهرة.

فهرس الموضوعات:

مقدمة.....ص02

1-المحاضرة الأولى:إشكاليات الهوية في الأدب الجزائريالقديم.....ص03

2 المحاضرة الثانية:-الأدب الجزائري القديم في عهد الدولة الرستمية.....ص13

3- المحاضرة الثالثة:الأدب الجزائري القديم في عهد الدولةالأغلبية.....ص26

4- المحاضرة الرابعة:الأدب الجزائري القديم في عهد الدولة الإدريسية.....ص33

5- المحاضرة الخامسة:الأدب الجزائري القديم في عهد الدولة الفاطمية.....ص37

6- المحاضرة السادسة:الأدب الجزائري القديم في عهد الدولة الصنهاجية....ص46

7- المحاضرة السابعة: الأدب الجزائري القديم في عهد الدولة الحمادية.....ص57

8- المحاضرة الثامنة:الأدب الجزائري القديم في عهد الدولة المرابطية.....ص68

9- المحاضرة التاسعة:الأدب الجزائري القديم في عهد الدولة الموحدية.....ص80

10-المحاضرة العاشرة:الأدب الجزائري القديم في عهد الدولة الحفصيية.....87

11-المحاضرة الحادية عشرة:الأدب الجزائري القديم في عهد الدولة الزيانية(1.2).....ص92

12-المحاضرة الثانية عشرة: الأدب الجزائري في عهد الدولة المرينية...ص107

13-المحاضرة الثانية عشرة:الأدب الجزائري القديم في عهد الدولة العثمانية(1.2) ص109

14- المحاضرة الرابعة عشرة:الأدب الجزائري القديم في بلاد المشرق والأندلس).....ص118

قائمة المصادر والمراجع:.....ص128

فهرس الموضوعات:.....ص132